نظرية صدام الحضارات

لصموئيل هنتنجتون

{ رؤية نقدية }

خطوة

على طريق التعايش السلمي والتفاعل الحضاري

للدكتور

أحمد إسماعيل أحمد أبو شنب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد ﷺ الذي ختم الله تعالى برسالته الرسالات ، وأنقذ به البشرية من الضلالة ، وأرشدهم به إلى صراطه المستقيم ، فأمرهم ﷺ بنبذ العنف والكراهية ،والبغضاء ، وترك الفسوق ،والتنابز بالألقاب ، والاستعلاء والكبرياء ، والظلم ، وأمرهم بتحقيق العدالة ، ونصرة المظلوم ، وحفظ الحقوق والحريات ،وتحقيق الأمن والسلام للمجتمع ، والطمأنينة والسكينة للنفس ، وأمرهم بمراعاة حقوق الأخوة وخفض الجناح ولين الجانب ، وفعل الخير لصالح الإنسانية ، ونهاهم عن التمييز بكل صوره وألوانه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وزوجاته أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـد :

فمنذ انتهاء عقد الثمانينيات من القرن الماضي والاتحاد السوفيتي يلفظ أنفاسه الأخيرة ، والعالم يشهد أطروحات فكرية غربية تؤصل للهيمنة والتسلط والاستبداد باسم العولمة تارة ، أو تجعل من الصراع أساساً لأيديولوجياتها ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية باسم صراع الحضارات تارة أخرى .

ومن واضعي هذه الأطروحات " فرانسيس فوكوياما " المفكر الأمريكي الذي وضع نظرية العولمة على أساس الانسجام والتفاعل الكوني مع نظم الغرب وأيديولوجياته ووضع نمطياته وأسس لمبـــــدأ

الذوبان الثقافي ، الذي تذوب فيه الفواصل والحدود والخصوصيات الدينية والثقافية لتخضع كل شعوب الأرض لإدارة مركزية أحادية القطبية تحت شعار الكوكبة أو العولمة أو القرية الواحدة أو العالم الواحد وذلك بعد زوال الاتحاد السوفيتي وانهيار نظمه الشمولية بدلاً من تجاذبها بين قطبية ثنائية كان الأخير أحد طرفيها إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية .

وما أن لبث عام ١٩٩٣م أن ينصرم حتى فاجأ الصحفي الأمريكي " صموئيل هنتنجتون " العالم بنظريته " صدام الحضارات " وقد عرضها في بعض الصحف الأمريكية على أنها حتمية وضرورية لصياغة نظام عالمي جديد بعد زوال الاتحاد السوفيتي أيضاً . ثم نشرها بعد ذلك في كتاب ، ويبقى العالم في إطار هذه النظرية في صدام مستمر يشتد سعاره حتى يصل إلى الصدام الدامي على خطوط الصدع أو التماس بين الحضارات المتصارعة وفق مبدئه " التماثلات والاختلافات " و" المصالح والتناقضات " ، وعلى أساس من الكراهية وجوهرية العداء ، الأمر الذي يجعل من إمكانية الاتفاق والتلاقي بين حضارتين مختلفتين أمراً مستحيلاً .

وقد قذف " هنتنجتون " بالإسلام في بؤرة هذا الصدام الدامي ، والصراع الحتمي على طول خطوط التماس مع جيرانه ، وصوره بأنه مصدر خطورة على البشرية ، وأن ثقافته ثقافة عدائية وجامدة ،

﴿٢﴾

وغير ديمقراطية ، أي أنه لا يحترم الحقوق والحريات .

وأرى أن نظرية " هنتنجتون " هذه لا تعدو كونها صياغة جديدة لنظرية " داروين " والتي تتأسس على مبدأ " البقاء للأقوى " ، وهذا منطق لا يمكن أن يأمن البشر في ظله على مقدراتهم ، كما لا يمكن أن تأمن فيه الدول على سيادة قرارها ، والدفاع عن أراضيها وحريتها في تقرير المصير . وهذه نظرية خطيرة تهدد الأمن والسلم الدوليين ، وتهدد إمكانات الحوار البنَّاء ، والتعايش السلمي ، وتفاعل الإنسانية تفاعلاً حضارياً يحقق مصالحها وتطورها والنهوض بها ، ومواجهة المشكلات التي تتهدد بقاءها كالقضاء على الفقر والانحراف السلوكي ، والأمراض الفتاكة التي تهدد الصحة العالمية ، وكذلك القضاء على التلوث البيئي ، وأسلحة الدمار الشامل ... فضلاً عن ذلك فهي تفرض على الدول الإسلامية تطوير أنظمتها،وصياغة أيديولوجياتها وفق النظم والأيديولوجيات الغربية حتى تتجنب الصدام ، وتقترب من التماثلية التي تجعلها تتفاعل مع الحضارة الغربية من أجل تحقيق ذلك !!

والمسلم وفقاً لنظرية " هنتنجتون " مطالب بالتخلي عن دينه وقيمه ومبادئه والذوبان في ثقافة الآخر ، مع أن " هنتنجتون" ذاته قد انتقد " فوكوياما " الذي أسس لنظرية العولمة على أساس الانسجام العالمي القائم على الذوبان الثقافي في ثقافة القطب الأوحد في العالـــم

﴿٣﴾

– الولايات المتحدة الأمريكية – وهذا التناقض كثيراً ما يتبع فيه هنتنجتون ، والفرق بين نظرية " العولمة " لفوكوياما ، ونظرية صدام الحضارات لهنتنجتون أن نظرية العولمة لا تطرح فكرة الصدام ، بل على العكس تدعو إلى الانسجام والتوافق والاندماج في الثقافة الواحدة بينما تطرح نظرية " صدام الحضارات " فكرة الصدام كحتمية تاريخية وضرورة ملحة لإعادة صياغة البناء الحضاري .
وكلتا النظريتين مرفوضة من الناحية النظرية والعملية .

والذي أركز عليه في بحثي هذا هو نقد نظرية " صدام الحضارات " لهنتنجتون ، لكن لا أستطيع في هذا الصدد تجاهل نظرية " العولمة " وسوف أتناولها ضمناً أثناء نقدي للنظرية .

هذا ، وقد ووجهت نظرية صدام الحضارات بانتقادات شديدة ولاذعة في الوسط الذي نشأت فيه ، وفي أوساط عالمية أخرى من قبل العقلاء الغيورين على مستقبل البشرية المهدد في ضوئها .

وقد ارتأيت أن أتقدم بهذه الدراسة النقدية كإسهام مني إلى جانب هؤلاء الغيورين في تقرير أهمية السلم والأمن العالميين ، وأن أميط الغبار الذي أثارته زوبعات هذه النظرية اللاإنسانية عن الإسلام وثقافته ومعتنقيه ، والتي بلغت من خطورتها أنها صارت تشكل مواقف الغرب وتحركاته تجاه الإسلام والمسلمين ، والتي تعيد المـــــوروث

الغربي عن الإسلام وبقوة إلى أروقة السياسة وقلاع الإعلام ، وبناء الأيديولوجيات الجديدة لحضارة الألفية الثالثة !!!

على أن الإسلام والمسلمين لم يكونوا فقط محل اتهام ، وإنما الصين والحضارة الكنفشيوسية ، والذي رأى هنتنجتون أن اتحادهما فيه خطورة على الإنسانية ، مع أن هذا مناقض لمبدأ التماثل الذي أقره

بيد أن صلة النظرية المغرضة بالإسلام هي التي ستكون محل نقدنا ، ويشمل البحث هذا ما يلي :

١ – التعريف بكتاب " صدام الحضارات " وإعادة بناء النظام العالمي.

٢ – نظرية صدام الحضارات كما يراها هنتنجتون .

٣ – ظروف نشأة النظرية .

٤ – أسس بناء النظرية .

٥ – نقد نظرية صدام الحضارات من خلال ما يلي :

أ : نقد منهج صياغتها .

ب : نقد أسسها وبنيتها .

وسوف أعتمد في هذا على منهجي التحليل والنقد .

والله تعالى من وراء القصد ... إنه أهل التقوى وأهل المغفرة .

﴿٥﴾

المطلب الأول

التعريف بكتاب

" صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد" لهنتنجتون :

" صدام الحضارات " كان عنواناً لمقالة لهنتنجتون ، نشرت بإحدى الصحف الأمريكية خريف ١٩٩٣م . ثم قام هنتنجتون بإعادة صياغة هذه المقالة في كتاب كبير سنة ١٩٩٦م وتضمن هذا الكتاب فكرة المقالة في اثني عشر فصلاً هي على النحو التالي :

عالم من الحضارات

الفصل الأول : العصر الجديد في السياسة العالمية .

الفصل الثاني : الحضارات في التاريخ في وقتنا الحالي .

الفصل الثالث : حضارة عالمية التحديث والتمدن الغربي .

التوازن المتغير بين الثقافات

الفصل الرابع : أفول الغرب : القوة ، الثقافة ، وانبعاث الثقافـــات المحلية .

الفصل الخامس : الاقتصاديات ، الديمغرافيا ، والحضارات المتمدنة

بروز نظام الحضارات

الفصل السادس : إعادة التشكيل الثقافي للسياسة العالمية .

الفصل السابع : الدولة الأساسية ، والدوائر المتمركزة ، والنظـــــام الحضاراتي .

صدام الحضارات

الفصل الثامن : القضايا الحضاراتية المتداخلة .

الفصل التاسع : السياسات العالمية للحضارات .

الفصل العاشر : من الحروب الانتقالية إلى حروب خط الصدع .

الحادي عشر : ديناميات حروب خط الصدع .

مستقبل الحضارات

الفصل الثاني عشر : الغرب حضارات وحضارة .

وقد ترجم الكتاب إلى العربية كل من د . مالك عبيد أبو شهيوة ود . محمود محمد خلف ، ونشرته الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ليبيا " وحجم الكتاب من القطع (A٤) ، وعدد صفحاته بمقدمة المترجمين ٥٩٠ صفحة .

علماً بأن هذه الطبعة المترجمة هي الطبعة الأولى .

المطلب الثاني

نظرية صدام الحضارات كما يراها هنتنجتون .

تتلخص نظرية " صدام الحضارات " عند هنتنجتون في (أن الصراع حتمي بين الحضارات) أي أن الحضارات في صدام حتمي ومستمر من أجل البقاء [١] ، لكنه يخص من هذا الصراع الحضاري – الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية من جانب ، والكنفشيوسية " الحضارة الصينية " والغرب من جانب آخر، باعتبارهما الحضارتين القويتين اللتين تهددا المصالح الغربية ، فضلاً عن الوجود الحضاري الغربي فيما يسميه " صراع خطوط الصدع[٢]

ويصف الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية بأنه صراع دموي على ما أسماه " خطوط الصدع " أي المواجهة القوية المحتومة مع الآخر ، والتي تصل إلى حد النزاع المسلح [٣] حيث صور الإسلام من خلاله بأنه دين دموي يحث على العنف الدموي.

الانسجام والتعافي العالمي بين تأصيل فوكوياما وتوهيم هنتنجتون :

إن هنتنجتون لا يؤسس لنظرية أحادية القطبية كما ذهب فوكوياما

---

(١) صـــدام الحضارات لهنتنجتون ، ترجمة د . مالك عبده أبو شهيوة ود. محمود محمد خلف ، ص (٦٤ ، ١٦٧ ، ٩٤) الدار الجماهيرية . ليبيا ط (١) ١٩٩٩م .

[٢] نفس المرجع ص (٩٥) .

[٣] نفس المرجع ص (٤٢٥ ، ٤٣٧) .

ويرى أن الواقع السياسي العالمي لا يسمح بذلك ، لاسيما أن هناك تنامي لرؤية حضاراتية متعددة لها دورها الفاعل على المسرح السياسي العالمي .

من ثم ينتقد هنتنجتون فوكوياما صاحب كتاب نهاية التاريخ في تنظيره لنظام عالمي أحادي القطبية تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية ، والقائم على أساس الانسجام والتعافي [١] العالمي ، ويرى أنه وهم ، لأن الواقع لا يمكن أن يسمح بالذوبان الثقافي والانصهار الحضاري في رؤية حضاراتية كونية عولمية واحدة [٢] .

ويرى أن زوال الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى مناوئة للولايات المتحدة لا يعني تفرد الأخيرة بقيادة العالم (وإنما حل محل الصراع بينهما صدام الحضارات) [٣] .

ويبدو هنتنجتون في نقده لفوكوياما أكثر صراحة إذ يقول: (إن النظرية التي تطرح عالماً واحداً متناغماً هي بكل وضوح بعيدة عن الحقيقة حتى تكون مرشداً مفيداً لما بعد الحرب الباردة) [٤] .

---

(١) نفس المرجع ص (٨٤) ، وراجع نهاية التاريخ والإنسان الأخير . فرانسيس فوكوياما ترجمة فؤاد شاهين ، وآخران ، ص (٢٥٨) وما بعدها ، دار الإنماء القومي ، بيروت لبنان ١٩٩٣م .

(٢) نفس المرجع ص (٨٥) .

(٣) نفس المرجع ص (٧٤) .

(٤) المرجع السابق ص (٨٦) .

وإن كان هنتنجتون محقاً في نقد مبدأ الانسجام والاتفاق العالمي بحيث تذوب فيه الثقافات وتتلاشى فيه الحدود والفواصل بين الدول ، فإنه غير محق في تأصيل حتمية الصراع الحضاري في العالم .

على أن اتجاه كل منهما يتناقض مع إعلان الاستقلال الأمريكي الذي يؤكد أن (جميع الناس ولدوا متساوين)[١]

ويرى هنتنجتون أن (الصدام يحدث على مستويين : الأول جزئي ويتمثل في نزاعات خطوط التماس ، والثاني كلي يتمثل في التنافس العسكري والاقتصادي ومدى السيطرة على المؤسسات الدولية ، إضافة إلى ترويج القيم السياسية والدينية الخاصة)[٢] .

ووفق هذه النظرية يقسم العالم إلى ثماني حضارات يحصرها في ثلاث اتجاهات هي :

(**أولاً** : الحضارات المتحدية : وهي الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية ، وهو ما كان يهدف إليه هنتنجتون وذلك بتحديد العدو الأول ، ومن المحتمل أن يكون للغرب علاقات متوترة وغالباً علاقات عدائية جداً .

---

(١) نهاية التاريخ لفوكوياما ص (١٩٢) مرجع سابق .

(٢) الإسلام والغرب والديمقراطية قراءات وتعليقات على مقالتي : صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون ، والإسلام والغرب لبريان بيدهام . جودت سعيد وعبد الواحد علواني ص (٢٩) دار الفكر ، دمشق ، سورية ط (١) ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

ثانياً : الحضارات الضعيفة : المتمثلة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وهي تعتمد على الغرب ، ستتضمن العلاقات بين هذه الحضارات والغرب مستويات دنيا من الصراع وخاصة دول أمريكا اللاتينية .

ثالثاً : الحضارات المتأرجحة : وهي الروسية واليابانية والهندوسية ، من المحتمل أن تتضمن العلاقات الغربية مع هذه الحضارات عناصر التعاون والصراع حيث أن الدول الأساسية الثلاث السابقة تقف في أوقات مع الحضارات المتحدية وفي أوقات أخرى مع المغرب ، الحضارات المتأرجحة ستتأرجح بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية) [١] . على أن بيدهام المفكر الأمريكي ينتقد هذا التقسيم ويختزل العالم في تقسيم جديد في خمس حضارات بدلا من ثمانية معتمداً على الدمج والإلقاء [٢] .

والفرق بين هنتنجتون وفوكوياما أن فوكوياما يدعو العالم إلى وحدة سلمية ، بينما هنتنجتون يحفز من خلال نظريته العالم على الصراع والصدام الدامي ، لكن سلام فوكوياما سلاماً مشبوهاً ، لأنه يرى أن السلام لا يتم إلا إذا توحد العالم في إطار تطبيق النظم الديمقراطية الغربية تحت قيادة قطبية مركزية هي الولايات المتحدة الأمريكية [٣] .

---

[١] مقدمة المترجمان لصدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢٣) .

[٢] وسوف نوضح هذا .

[٣] نهاية التاريخ لفرنسيس فوكوياما ص (٢٦١) مرجع سابق .

المطلب الثالث

أسس نظرية صدام الحضارات

بنى هنتنجتون نظريته هذه على عدة أسس نوضحها فيما يلي:

أولاً : التماثلات والاختلافات ، والمصالح والتناقضات :

أ – التماثلات والمصالح :

يرى هنتنجتون أن التماثلات والمصالح المشتركة تمثل موجة مد قوية بين الدول ذات الحضارات المتماثلة والمصالح المشتركة ، فالدول الغربية دول متماثلة تبحث عن مصير مشترك ، ويجمعها رؤية حضارية واحدة ، وإن مثلت كل دولة بمفردها في نظره قوة حضارية ، لكن التماثلات الثقافية والمصالح الحضارية الكبرى هي الهم الغربي المشترك والمنبثق عن سيطرة الحضارة الغربية على الحضارات العالمية (١) .

ب – الاختلافات والتناقضات :

وتمثل الاختلافات والتناقضات موجة جزر عاتية تستقطب المجموعات الحضاراتية بأطيافها المختلفة وخلافاتها السياسية وأطماعها التوسعية ورغبتها في إثبات الذات الحضارية إلى دائرة الصراع والعنف الدموي) (٢).

---

(١) صدام الحضارات ص (٧٥ ، ٨٠ ، ٨٩) .

(٢) نفس المرجع ص (٧٣ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٩) .

ويبرز العنصر الثقافي [١] في فكر هنتنجتون كأساس للتماثل والاختلاف ،وليس الصراع السياسي والاقتصادي، وهذا المبدأ مناقض للواقع ،فالدافع إلى السيطرة والهيمنة في العالم دافع سياسي واقتصادي بالدرجة الأولى ، وإن استغل الساسة مبدأ الاختلافات والتناقضات الثقافية أو الدينية للتأثير على الرأي العام بإثارة العاطفة الدينية .

ثانياً : فرضية كراهية الآخر وجوهرية العداء [٢] :

تمثل هذه الفرضية في فكر هنتنجتون – كما نرى – أساساً ثانياً لنظريته " صدام الحضارات " حيث افترض أن هذا العنصر تحصل من الصدام مع الآخر حتميةً تاريخية ، وتجعل من كراهية الآخر وجوهرية العداء أساساً جوهرياً للعلاقات الإنسانية .

ويدعم هذا الأساس بقوله : (إننا نعرف من نحن عندما نعرف من لسنا نحن ، وفي أغلب الأحيان ، عندما نعرف أولئك الذين ضدنا)[٣]

ومعنى هذا باختصار : أدرك عدوك تدرك ذاتك ، وبناءً على ذلك فالإنسان من أجل معرفة ذاته في صراع مع الآخر ، والغريب أن هنتنجتون يتصور هذا العدو في الإسلام [٤] ويرمز له بصدام خطوط

---

[١] على أنه لا يفرق بين الدين والثقافة .

[٢] نهاية التاريخ لفوكوياما ص (١٩٢) .

[٣] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٧٣ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٩) .

[٤] إلى جانب الحضارة الصينية الكنفشيوسية .

الصدع [١] وهذا يؤسس لمبدإ في الصراع يتمثل في " نحن وهم .. والحتمية التاريخية " .

ثالثاً : الثقافة الإسلامية عدائية وجامدة :

يحاول هنتنجتون التأسيس لنظريته بموقفه الخاص من الإسلام وثقافته ، على أن الفكر السائد في الغرب عنهما هو الذي أسهم بفاعلية في بلورة هذا الأساس لنظريته في الصدام .

ولهنتنجتون في هذا مزاعم منها ما يلي :

١ – الثقافة الإسلامية ثقافة عدائية إذ تقسم العالم إلى دار السلم ودار الحرب ، ويضع بإزاء ذلك تقسيماً غربياً يقسم العالم إلى مناطق السلام ومناطق الفوضى ، ويجعل الغرب واليابان مناطق سلام ، بينما يجعل المناطق الأخرى من العالم مناطق فوضى في حين أنه يذكر أن الغرب غزا العالم لمدة (٤٠٠) سنة [٢] !!!

٢ – الثقافة الإسلامية غير ديمقراطية .. لا تشجع على النهوض الحضاري والإنماء الاقتصادي ، بينما التراث المسيحي الغربي هو القادر على تحقيق ذلك [٣] (٤) .

---

(١) نفس المرجع ص (٢٤٥ ، ٧٥ ، ٣٣٣) .

(٢) صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٨٦) .

(٣) يلمح المترجم للكتاب تناقضاً واضحاً في فكر هنتنجتون في حديثه عن الديمقراطية في الغرب إذ يجعل في مساق حديثه هذا الثقافة الأرثوذكسية غير ديمقراطية (كيف يمكن تفسير ذلك داخل الحضارة الواحدة ، حضارة المسيحية منذ الإمبراطورية الرومانية ؟) . هامش ص (٨٠) من صدام الحضارات . (٤) صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٨٠)

٣ – الثقافة الإسلامية غير قابلة للتطور (وهي بذلك جامدة لا تحقق التقدم ، بل يجب أن تهجر وتلغى ، لأنها تعيق التصور الحضاري وأن المجتمع – والحديث عن المجتمع التركي– عليه أن يتحول إلى النمط الغربي من العصرنة حتى يحقق بنجاح التقدم)[١].

ولاحظ أنه يصف الإسلام بأنه ثقافة محلية لتركيا حاضرة الخلافة العثمانية [٢] ، لكنه يتحول فيما بعد إلى الحديث عن الإسلام والمسلمين بصراحة وبوجه عام ، فينقل عن بعض المفكرين الغربيين هذا النص ويقره (الإسلام لم يعط بديلاً للتحديث .. العلمانية لا يمكن تفاديها .. وأنه لتفادي الفوضى ليس للمسلمين إلا خيار وحيد لأن التحديث يتطلب الغربنة .. العلم الحديث والتقنية تتطلب استيعاب عمليات الفكر التي تصاحبها ، وكذلك المؤسسات السياسية ، ولأن المضمون يجب أن يحاكي وليس أقل من الشكل ، فإنه يجب الاعتراف بتفوق الحضارة الغربية حتى يكونوا قادرين على التعلم منها ، اللغات الغربية والمؤسسات التعليمية الغربية لا يمكن تفاديها ، حتى ولو كانت الأخيرة تشجع حرية التفكير والحياة السهلة ، عندما يقبل المسلمون بشكل صريح النموذج الغربي ، عند ذلك فقط يمكن لهم أن يتحولوا للتقنية وأن يتطوروا) [٣] .

---

[١] نفس المرجع ص (١٥٥) .

[٢] نفس المرجع ، نفس الصفحة .

[٣] نفس المرجع ص (١٥٦) بتصرف يسير .

ويرى هنتنجتون أن الشريعة الإسلامية (ليس فيها شيء حول النتائج المصاحبة للتحديث ، مثل التغير من الزراعة إلى الصناعة ، ومن الريف إلى المدينة ، أو من الاستقرار الاجتماعي إلى التقلب الاجتماعي ، ولا هي تتدخل في مسائل مثل التعليم العام والاتصالات السريعة ، وسائل نقل جديدة أو الرعاية الصحية) [١] .

ورغم ذلك ينقل عن رودنسون قوله : (لا يوجد شيء يشير بشكل قوي إلى أن الدين الإسلامي يحرم على المسلمين في العالم تحقيق التطور على طول الطريق إلى الرأسمالية الحديثة) [٢] . هذا في محاولة للتقريب بين الإسلام والحداثة .

ورغم ما نقل عن أحد المفكرين الغربيين – بايبز – إشارته إلى (التناقضات بين الإسلام والحداثة في المسائل الاقتصادية ، مثل سعر الفائدة ، والصيام ، وأحكام الإرث ، ومشاركة المرأة في القوى العاملة) [٣] .

ورهن غربنة العالم الإسلامي بإزالة هذا التناقض !! باعتباره جامداً لا يساير التطور ، ولا يحقق الحريات [٤] .

---

[١] صدام الحضارات ص (١٦٣) .
[٢] نفس المرجع ص (١٦٣) .
[٣] نفس المرجع ص (١٦٣) .
[٤] نفس المرجع ص (٧٩ ، ١٣١) .

كانت هذه هي الأسس الثلاثة التي أسس عليها هنتجتون نظريته في صدام الحضارات ، وفيما يلي نتحدث عن نقد هذه الأسس لإبطال نظريته المزعومة .

المطلب الرابع

ظروف نشأة نظرية صدام الحضارات

هناك عدة ظروف دفعت بهنتنجتون إلى صياغة هذه النظرية نجملها فيما يلي :

١ – سقوط الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتي [١] كقوة مناوئة للولايات المتحدة الأمريكية .

٢ – البعث الإسلامي واضمحلال قوة الغرب [٢]

٣ – تنامي الدول في سلم حضاري في محاولة قوية لتأكيد الهوية[٣]

٤ – تراجع مؤشرات الحضارة الغربية [٤]

٥ – النظام العالمي الجديد والعولمة والقرية الكونية [٥] .

ولاحظ أن هذه الظروف قد أبرزناها من خلال كتاب هنتنجتون ومن الجدير بالذكر أنه لم يفرد لها فصلاً أو مبحثاً أو مطلباً ، ولم يذكرها تحت عنوان يوضح ذلك .

بيد أنني وجدتها متناثرة في ثنايا كتابه هذا ، فأردت إبرازها بهذه الصورة ليدرك القارئ الدافع السياسي والاقتصادي القوي وراء

---

(١) صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٣٣٤) .
(٢) نفس المرجع ص (٢٢٦) .
(٣) نفس المرجع ص (٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٣٣٣) .
(٤) نفس المرجع ص (١٧٧ ، ١٧٨) .
(٥) نفس المرجع ص (١٢٣) وراجع ص (٩٥ – ٩٧) .

هذه النظرية ، وليدرك أبعاد هذه الدافعية لهنتنجتون وراء صياغتها ، وهو الغيور على قوة دولته – الولايات المتحدة الأمريكية – والتي يعتبرها راعية الحضارة الغربية بوجه خاص والحضارة العالمية بوجه عام .

وأياً ما كان فإن هذه الظروف مجتمعة أدت بهنتنجتون إلى محاولة إبراز هذه النظرية في الوسط السياسي العالمي ، بيد أنها لم تكن محل قبول مطلق ، فقد ووجهت بانتقادات حادة ولاذعة ، وإن لم تفقد أنصاراً قليلين راحوا يؤيدونها [١] وينظِّرون لها إما انبهاراً بها ، أو خضوعاً لها باعتبارها نتاجاً أمريكياً .

---

[١] راجع : الإسلام والغرب الديمقراطية قراءات وتعليقات على مقالتي : صدام الحضارات لهنتنجتون ، والإسلام والغرب لبريان بيدهام . حودت سعيد وعبد الواحد علوان ص (١٥) و(٢٣) دار الفكر المعاصر . مرجع سابق . ومجلة حوار العرب مقال د . يوحديبة ص (٣٠) ع (١٢) س ٢٠٠٥م .

المطلب الخامس

نقد نظرية " صدام الحضارات "

سأعتمد في نقد هذه النظرية على أمرين :

أولاً : نقد منهج صياغة النظرية .

ثانياً : نقد أسس النظرية وبنيتها .

وذلك لما اشتمل عليه منهج صياغة هنتنجتون للنظرية من إشكاليات منهجية تفقدها قيمتها المنهجية العلمية ، كما انطوت النظرية في جانبها التأسيسي على العديد من الأخطاء العلمية النظرية والموضوعية التي تذري بقيمة صياغتها ، وتنطوي على الكثير من المتناقضات والتجاوزات في تفسير الوقائع والأحداث التاريخية وتجاهلها للقيم والمبادئ الإنسانية وازدرائها للدين ما عدا النصرانية.

وسأتناول هذا فيما يلي :

إشكاليات منهج هنتنجتون في صياغة نظريته " صدام الحضارات " :

يعتمد هنتنجتون على العديد من الركائز المنهجية التي أسس عليها نظريته " صدام الحضارات " وقد جاءت بعض هذه الركائز مقتربة من المنهج العلمي أحياناً ومبتعدة عنه أحياناً أخرى .. ولم يسلم المقترب منها من المنهجية في كثير من الأحيان من التحكم والفرض

ومن ثم مثلت هذه الركائز إشكالية منهجية أثرت تأثيراً كبيراً في هيكل النظرية وأسسها .

ومن هذه الإشكاليات ما يلي :

١ – إشكالية تحرير المصطلحات .

٢ – إشكالية المقارنة .

٣ – إشكالية الاستقراء .

٤ – إشكالية الإحصاء .

٥ – إشكالية الإسقاط .

٦ – إشكالية الإقصاء .

٧ – إشكالية التحيز .

٨ – إشكالية التناقض .

٩ – إشكالية التعميم .

١٠ – إشكالية تجاهل الواقع ومخالفة الحقائق التاريخية .

أولاً : إشكالية تحرير المصطلحات العلمية :

تحرير المصطلحات إحدى الركائز التي يعتمد عليها هنتنجتون في بنائه الحضاري ، ولا يخفى ما لها من أهمية في الفصل بين المصطلحات وتحديد مفاهيمها وبيان حدودها منعاً من التداخل والخلط

بيد أن هذه الركيزة المنهجية تعاني في فكر هنتنجتون من إشكالية الخلط بين المفاهيم الاصطلاحية ، الأمر الذي يؤدي إلى الالتباس والغموض في الرؤى والتصورات .

ويتضح هذا من خلال ما يلي :

إشكالية الخلط بين مصطلحي الثقافة والحضارة :

رغم فصل كثير من المفكرين والباحثين بين المصطلحين على أسس علمية تراعي طبيعة كل من الثقافة والحضارة ومنهم علي عزت بيجوفيتش [١] ، يأتي هنتنجتون رافضاً هذا الفصل العلمي الدقيق بين المصطلحين ، قاطعاً بأن الثقافة هي الحضارة والحضارة هي الثقافة ، وأنه ليست هناك حدود فاصلة بينهما . يقول : (إن كلاً من الحضارة والثقافة يشير إلى نمط الحياة العام للبشر ، وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة . كلاهما يتضمن " القيم والمبادئ والمؤسسات وأنماط التفكير ، والتي تعطي لها الأجيال المتعاقبة في مجتمع ما

---

[١] الإسلام بين الشرق والغرب : علي عزت بيجوفيتش ، ترجمة محمد يوسف عدس ص٩٧ مؤسسة بافاريا ط (١) ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

أهمية أولية) [٢] .

ويقول : (الحضارة – أي حضارة – هي كيان ثقافي في أوسع معانيه) [٢] .

في حين أن الثقافة عند بعض النقاد بناء الذات والحضارة بناء المجتمع ، أي أن الثقافة تتجه داخل الفرد والحضارة خارج الفرد ... فالثقافة : تزويد الإنسان بالقيم والمبادئ والمثل ، والحضارة : تزويد الإنسان بالتكنولوجيا المادية ، فكلاهما ترقية للإنسان ، لكنهما يختلفان من حيث المنهج ، فالثقافة روحية ، والحضارة مادية .

وقد أدى خطأ هنتنجتون المنهجي إلى اختزال متعمد لكلا المصطلحين في الآخر ، بحيث تلاشت الحدود والفواصل ، إذ لا حد واضح لديه بين ما هو قيمي وما هو مادي . وتتمثل خطورة هذا الاتجاه في ترقية الإنسان بالوسائل المادية الأمر الذي يضمحل أمامه الرقي القيمي والروحي ، فضلاً عن إقصاء الدين عن مصادر الرقي ومناهجه .

إشكالية تحرير مفهوم " الحداثة " و " التحديث " :

ذكرت في الإشكالية الأولى خلطه بين المصطلحات ، وضربت مثلاً على ذلك بخلطه بين مصطلحي الحضارة والثقافة . بيد أن هذه

---

[٢] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (١٠٣) .
[٢] نفس المرجع ص (١٠٥ ، ٧١) .

الإشكالية التي أتحدث عنها هنا تتمثل فيما يلي :

إقامة فواصل وحدود ما كان لها أن تقوم بين أهداف التحرير الاصطلاحي لبعض المصطلحات كمصطلحي الحداثة والتحديث ، إذ يفصل بين هدف التحديث وهدف الحداثة ، فيرى أن في الثاني غربنة لا تتوفر في الأول ، فالحداثة عنده تعني صياغة المجتمع وفق نمطية غربية ، أما التحديث فهو مجرد إعادة الهيكلة والبناء الحضاري وفق أنماط التحديث حتى ولو كان غربياً .

يقول : (إن التنمية السياسية أو التحديث Modermization هي مفهوم مختلف عن الحداثة على النمط الغربي Westernization " أو الغربنة " وهو أي التحديث يكون من نتيجته لا حضارة عامة بأي معنى ذي مضمون ، ولا يكون من نتيجته غربنة المجتمعات غير الغربية) [١] .

والتحديث والحداثة في حقيقة الأمر يهدفان إلى تحديث المجتمع وفق نمطية غربية وإلا فما معنى التنمية السياسية المنبثقة عن النظم الغربية والتي سادت كثيراً من دول العالم ... إن لم تكن تحديثاً على النمطية الغربية فماذا تكون ؟!

مع أن التحديث والحداثة كليهما في الفكر الإسلامي لا يعني بالضرورة بناء المجتمعات وفق رؤى وتصورات إسلامية وإن كـــان

---

[١] صدام الحضارات : هنتنجتون ص (٧١) .

السائد في المصطلحين في الساحة الفكرية تأسيس البناء الحضاري وفق تصورات غربية .

بالإضافة إلى ذلك فإن الحداثة كمصطلح وضع للتاريخ لحقبة زمنية تقابل العصر الحديث ، وتعلن بداية عصر جديد أكثر رقياً وأكثر تقدماً وحضارة .

والهدف الذي ينتقل عبر هاتين الحقبتين لا يتغير ، وإن كان خاضعاً للتطوير الحضاري والرقي المادي أو الثقافي وفق أنماط غربية ، وإن اختلفت في قوتها ورقيها ، بل إن حقبة الحداثة هي امتداد فاعل لحقبة العصر الحديث الذي تم فيه التحديث وفق هذه الأنماط الغربية إما بفعل الاستعمار أو قوة الضغط من الدول الكبرى المهيمنة على القرار العالمي ، أو بفعل ذاتي تلقائي يعبر عن رغبة الدول في التطوير الذاتي والبناء الحضاري عن طريق التقليد والمحاكاة .

ولولا حقبة " التحديث " ما كانت حقبة " الحداثة " فكيف نفصل إذن بين أهداف المصطلحين فنقول : الحداثة " غربنة " والتحديث مجرد بناء وتنمية سياسية بعيداً عن أي أهداف تصوغ المجتمعات وفق النظم الغربية ؟ ! وإلا فكيف نفسر تطبيق النظم الديمقراطية فيما يسمى " دول العالم الثالث أو النامي " في عصر الحداثة ؟!

وبالإضافة إلى هذا فإن هناك مصطلحاً يسمى مصطلح " ما بعد الحداثة " وضع ليمثل مرحلة جديدة لمصطلح " الحداثة " فهل نقول

بناء الدول حضارياً في عصر الحداثة " غربنة " أما في عصر ما بعد الحداثة لا يعتبر غربنة ، مع أن التحديث في كليهما يقوم في رؤى هنتنجتون على نظم غربية بحتة ؟! أم ماذا ؟!

وهذا مثال واضح على الإشكاليات التي يعانيها تحرير مفاهيم المصطلح وبيان أهدافه عند هنتنجتون .. على أن هذين المثالين ليسا فقط كل ما لدى هنتنجتون من إشكاليات فثمة عدة أمثلة ممكن أن تستنبطها وتقف على حدود إشكالياتها في كتابه (١) .

ثانياً : إشكالية المقارنة :

يعتمد هنتنجتون على المقارنة كركيزة منهجية محاولاً تدعيم رؤاه وتصوراته في أطروحاته لإعادة بناء النظام العالمي في إطار " صدام الحضارات " .

ومع أن لمنهج المقارنة أثر كبير في نقد وبناء الأفكار ، وصياغة الأطروحات صياغة دقيقة وفق ضوابط علمية وعقلية ، إلا أن هذا المنهج يعاني عند هنتنجتون من إشكالية الغرض التي يحاول من خلالها فرض رؤاه وتصوراته الخاصة والتي تخدم هدفه فقط وليس الحقيقة العلمية .

---

(١) راجع على سبيل المثال خلطه بين الدين والثقافة ص (١٠٤) من كتابه ، وكذا خلطه بين الدين والحضارة .

ويتضح هذا من خلال المثال التالي :

يقارن هنتنجتون انتشار الإسلام بانتشار النصرانية فيتحدث عن نسبة المسلمين والنصارى – فضلاً عن غيرهما – فيقول : (تظهر البيانات الإحصائية – فعلاً تزايداً في الجزء من سكان العالم الذي يعتنق الديانتين المبشرتين ، الإسلام والمسيحية ، خلال ثمانين سنة كان المسيحيون الغربيون يقدرون بـــ (٩ر٢٦ %) من سكان العالم سنة ١٩٠٠م و(٣٠ %) سنة ١٩٨٠م ، وارتفع عدد المسلمين بقدر هائل من (٤ر١٢%) سنة ١٩٠٠م إلى (٥ر١٦%) سنة ١٩٨٠م وخلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين توسعت كل من المسيحية والإسلام في الانتشار في إفريقيا ، وحدث تحول كبير نحو المسيحية في كوريا الجنوبية ، وفي المجتمعات التي تتحول سريعاً نحو التحديث ... وفي المدى الطويل ، مع ذلك فإن الإسلام سيفوز، المسيحية تنتشر عن طريق الاعتناق ، والإسلام بالاعتناق والتكاثر السكاني) [١] .

ويرجع هذه الزيادة إلى (تقوية الشعور الديني الحاد وانبثاق الحركات الأصولية وهي بالتالي أعادت تقوية الخلافات بين الأديان) [٢] .

ولم يبرز هنتنجتون أسباب تزايد اعتناق الإسلام في الغرب ، كما لم يبرز أسباب تزايد اعتناق المسيحية ..إن ما يهمه فقط هو إبراز

---

[١] صدام الحضارات ص (١٤٣) .

[٢] نفس المرجع ص (١٤٠ ، ١٤١) .

أن الاهتمام المتزايد بنشر الأديان في إطار عالمي هو بالضرورة سبب الصراع الدائر في العالم ، هذا الصراع الذي جعله أساساً لنظريته وترجع نسبة زيادة انتشار الإسلام في العالم إلى عدة أمور منها ما يلي :

١ – **طبيعة الإسلام** : حيث إن الإسلام يتميز عن غيره من الأديان – لخلوه من التحريف والصياغات البشرية – بطبيعته البسيطة غير المعقدة ، والتي تمتع العقل ، وتؤنس الوجدان ، وتتجاوب مع المستجدات ، وتنسجم مع الفطرة السليمة .

٢ – **اتفاق الإسلام مع العقل** : حيث جاء الإسلام متفقاً مع العقل السليم ، والنظر الصحيح في قضاياه العقدية والتشريعية وآدابه وأخلاقياته ، فقد خلا من الغموض الذي أشاع اليهودية والنصرانية ، والذي جعلهما إلى الفلسفة أقرب منهما إلى الدين ، حيث بنيا في فترة إعادة الصياغة على عناصر فلسفية بفعل التيارات التأليفية [١] السائدة في البيئات المجاورة آنذاك ، وتأثر كتاب الأناجيل بالفلسفة اليونانية والرومانية التي وجدت في البيئة النصرانية تربة خصبة للنمو والتطور إلى أن شكلت إلى جانب المجامع النصرانية الأصول الفلسفية

---

[١] المسيحية نشأتها وتطورها : شارل جنيبير ترجمة : د . عبد الحليم محمود ص ٧٨ دار المعارف ط (٣) ١٩٨٨م .

للعقيدة المسيحية ..

فضلاً عن تأثر الفكر الديني اليهودي بعوامل الضغط النفسي والسياسي [١] إثر الهزائم المتكررة التي مني بها اليهود في تاريخهم والذي شكل ملامح عقيدة معادية لكل ما هو غير يهودي ، وناهيك عن قيام النظم السياسية والاجتماعية والدينية في الفكر الديني اليهودي على عناصر أسطورية تغذي الصراع وتؤصل للعداء بين اليهود وغيرهم ، على أساس عنصرية بغيضة .. تفرق ولا تجمع ... تهدم ولا تبني ، إلا بناء عنصرياً يخدم أهدافهم القومية العنصرية رغم صور العداء البغيضة لأنبيائهم ، والتي دفعتهم إلى قتلهم [٢] .

أضف إلى هذا أن المسيحية كدين مجرد ناقضت العقل وجافته ولم تتفاعل مع المستجدات ، وفشلت في إنقاذه من مآزق نفسية وعلمية كثيرة إذ جاءت رسالتها منحصرة في جانبها الروحي منعزلة عن الحياة ، مركزة فقط على الآخرة ، مما يجعله ديناً (غير واقعي ينهزم

---

[١] راجع : علم اللاهوت الكتابي جرهاردس فوس ترجمة عزت زكي ص (٣٧٠) دار الجيل بيروت ١٩٨٢م . وسفر التثنية من العهد القديم إصحاح ١٣،١٤/٢٠ وسفر اللاويين ١٢/٢٥ .

[٢] راجع : أورشليم قاتلة الأنبياء : محمود الشرقاوي ص (١) مكتبة الأنجلو المصرية والمطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٨م ، وإنجيل برنابا ، ترجمة د. خليل سعادة تقديم السيد محمد رشيد رضا . تعريف : أحمد حجازي السقا ، فصل ١٨٩ ، فقرات : ١١ / ١٦ ، دار البشير للطباعة . القاهرة ١٩٩٥م .

أمام المقهورين لاعتماده على العفو العام وإسقاطه الدفاع عن النفس)[1] إلى غير ذلك من الصور التي تجعل النصرانية متجافية مع الفطرة ومناقضة للعقل السليم .

٣ – القدوة : حيث قامت بدور كبير في إبراز محاسن الإسلام وآدابه وأخلاقياته التي تقدر إنسانية الإنسان ، وتنهي عن العصبية والتمييز العرقي ، وتنظر إلى الإنسان على أنه مخلوق لله ، وأن ميزان التفاضل الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، وتجعل فعل الخيرات قربة إلى الله تعالى ، وشرطت لصحة التعبد بها خلوها من الرياء ، والتجرد من كل شيء لله تعالى لا تفرق في فعل ذلك بين مسلم وغيره ، مثلما لا تفرق في الرحمة بين الإنسان والحيوان .

هذا وقد أسقط الإسلام الوساطة في الدين على عكس النصرانية وكذا التميز الذي منحته اليهودية للأحبار ، وخاطب كل فرد بأنه مؤهل ، بل ومطالب بأن يحقق في ذاته للآخرين القدوة والمثل الأعلى حتى يكون أهلاً للاقتداء والتأسي ، الأمر الذي يجسد مبادئ الإسلام القائمة على الرحمة والرأفة والتسامح ، والتعاون على البر والتقوى ونبذ الإثم والعدوان ، والمسارعة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات ، والسمو بالفضائل والقيم الإنسانية النبيلة التي تحقق التعايش السلمي

---

[1] الإســـلام بين الشرق والغرب : علي عزت بيجوفيتش ص (٣٢١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤) ، مرجع سابق .

والأمن الاجتماعي .

هذه بعض العوامل التي أدت إلى قوة انتشار الإسلام ، والتي لم يشر إليها هنتنجتون لا من قريب ولا من بعيد ، وفي هذا إغفال للحقيقة ، ومجافاة للمنهجية العلمية ، وقد يعذر في هذا بأنه لم يذكر أسباب انتشار المسيحية ، لكن هذا مخالف لقواعد البحث العلمي ومناهجه .

ثالثاً : إشكالية تجاهل الواقع ومخالفة الحقائق التاريخية :

تبدو خطورة التحكم في ميدان البحث العلمي في مخالفة الحقائق العلمية ، ومحاولة فرض صور خاصة تلونها مناظير نفسية أو اجتماعية أو سياسية ، أو ما إلى ذلك ، ولم يسلم هنتنجتون في منهجه من هذه التحكمات التي أشاهت بعض الحقائق التاريخية في محاولة للتقليل من شأنها ، والتهوين من هولها .

ويتضح هذا من خلال تصويره للحرب العالمية الثانية بأنها حروب أهلية داخل العمق الأوربي لا علاقة لها بدول العالم الثالث[١] وهو الذي كان مسرحاً للعديد من العمليات الحربية ، وكانت ثرواته – ومازالت – مطمعاً للغرب تحرك مشاعره ، وتوجه سياساته ، وتغذي نهمه في السيطرة والاستبداد ، وإلا فكيف يمكن تحليل حركات الاستقلال من الاستعمار في دول العالم الثالث والتي عانت من اغتيال

---

[١] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢٧١) مرجع سابق .

خبراته ، وتغييب عقوله ، واستنزاف موارده ، وإضعاف بنيته ، وسلب إرادته .

وحركات الاستقلال والنضال من أجل التحرير من براثن الاستعمار الغربي في عالمنا العربي والإسلامي حقيقة ماثلة في ذاكرة التاريخ ، لا يمكن تغييبها أو تهميشها أو تجاهلها ، ولا يفعل ذلك إلا متحكم مغرض ، أو صاحب نظرية شاذة ، يحاول من خلالها إعادة صياغة التاريخ وفق فرضياته واحتمالاته ورؤاه وتصوراتها لا وفق قواعد البحث التاريخي المنهجي في معالجة القضايا التاريخية بأبطالها وشخوصها ومشاهدها وأحداثها ودوافعها وأهدافها .

ويهدف هنتنجتون من وراء ذلك إلى تغييب عنصر العداء الغربي للإسلام والمسلمين وغيرهم من ذاكرة التاريخ ، مسقطاً دافعية الصدام الحضاري – الذي يتبنى نظريته – عن الغرب ، على أن يبقى المسلمون – خاصة – طرفاً أولياً ومباشراً فيه ، وبعض الغرب بطبيعته مسالم يتجرد من نوازع الاستعمار والسيطرة ، ويحاول تجنب الصدام مع الآخر !!

رابعاً : إشكالية الاستقراء :

يعتمد هنتنجتون على الاستقراء في العديد من قراءة الظواهر حيث يتتبع كل عناصر الظاهرة التي يتحدث عنها ، ويلم بأطراف القضية ، ويجمع ما قيل فيها .. من خلال رؤيته وتصـــــوره لهـــا

ورغم ذلك لم تسلم هذه القاعدة من الإشكالية .

نستطيع أن نلمس ذلك بوضوح من خلال عرضه لقضية الديمقراطية في العالم ، ومعالجته لها ، إذ يقول : (.. خلال السبعينات والثمانينات عمت موجة من التحول الديمقراطي أرجاء العالم ، وشملت عشرات الدول . هذه الموجة كان لها آثار على المجتمعات الإسلامية ، ولكن بشكل محدود ، فبينما كانت الحركات الديمقراطية تكتسب قوة وتصل إلى السلطة في جنوب أوربا ، وأمريكا اللاتينية ، وهوامش الشرق الآسيوي ، وأوربا الوسطى فإن الحركات الإسلامية كانت في نفس الوقت تكتسب قوة في الدول الإسلامية .

الحركات الإسلامية كانت شبيهة بالبديل المتحرك وظيفياً كمعارضة ديمقراطية ضد التسلطية في المجتمعات المسيحية ، وكانت إلى حد كبير نتاجاً لأسباب متشابهة : الحراك الاجتماعي ، فقدان الشرعية في الأداء من قبل نظم تسلطية ، وبيئة دولية متغيرة ، بما في ذلك ارتفاع سعر النفط ، والذي شجع في العالم الإسلامي الاتجاهات الإسلامية ، وليس التيارات الديمقراطية ، القساوسة والوزراء والجماعات الدينية لعبت أدواراً رئيسية في معارضة النظم الاستبدادية في المجتمعات المسيحية ، كما لعب العلماء والإسلاميون دوراً متشابهاً في الدول الإسلامية ، البابا كان مركزياً في انتهاء النظام الشيوعي في بولندا ،

وآية الله الذي أطاح بنظام الشاه في إيران) [١] .

إشكالية الاستقراء عند هنتنجتون :

من خلال ما ذكره هنتنجتون نستطيع إدراك الآتي :

١ – يركز هنتنجتون على فكرة الديمقراطية في العالم ، والتي يرى أنها نمت في العالم كله في حين وئدت في محاولات الإسلاميين والشيوعيين ، والتي ربما يرى أنها ذاتها تمثل صورة استبدادية !! وإن كان يرى أن الإسلاميين ساهموا في إسقاط السلطة الاستبدادية المتمثلة في الشيوعية إلى جانب رجال الدين المسيحي والسلطة البابوية !!

٢ – يحاول هنتنجتون إبراز الإسلام من خلال التصورات الإسلامية لا من خلال نصوص مصادره الداعية إلى الشورى وإلى حرية الاعتقاد وحرية الرأي المتمثلة في قول الله تعالى ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ [٢] ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ [٣] وبالإضافة إلى ذلك تطبيقات الرسول ﷺ العملية ، بل إنه يحاول تبرير هذا الفشل في الوسط الإسلامي ، ويرجعه إلى (الثقافة الإسلامية والتي يرى أنها ترفض الأفكـــــار

---

[١] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢٢٢) مرجع سابق .

[٢] سورة البقرة : (٢٥٦) .

[٣] سورة يونس : (٩٩) .

الغربية الليبرالية) [١] .

٣ – لقد كانت رؤية هنتنجتون غنية بالاستشهادات وقراءة الواقع لكنها استشهادات غير منطقية ، وقراءة سطحية تقف على سطح الظاهرة ولا تخترق جوهرها .

وربما تجاهل هنتنجتون – أو جهل – أن الإسلام وضع أسس الحكم على مبدأ الشورى وتداول السلطة ، ومبايعة من يرشح للحكم ممن تتوفر فيه الأهلية لذلك ، وقد كان صدر الإسلام وانتقال الخلافة فيه أبرز شاهد على ذلك ، فقد أسس الرسول ﷺ هذا المبدأ في ممارسته العملية في غزوة بدر فيما يتعلق بمكان المعركة وشؤون الأسرى ، وحفر الخندق في غزوة الخندق وغير ذلك ، في حين كانت السلطة الدينية في المسيحية تكفر من يخرج على آراء الكنيسة ، وتحرمه الحق في التفكير !!

إنها ظاهرة تشربت بالاستبداد الكنسي الذي مثّل ضغطاً قوياً دفع الناس إلى الثورة عليه ، ودعوا إلى ضرورة الإصلاح .

وفي تحليل هنتنجتون واستقرائه لظاهرة الديمقراطية في العالم تعريض بحركات المقاومة للاحتلال في العالم الإسلامي أو على الأقل فكر المقاومة بقطع النظر عن انتمائه لأي اتجاه بأنه فكر استبدادي ؟

---

[١] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢٢٣) ، وسوف نوضح هذا بالتفصيل في نقد أسس النظرية .

فهل الديمقراطية الاستسلام للاستعمار ؟!

أم أنها إسقاط لحق الشعوب في تقرير مصيرها والدفاع عن أراضيها وثرواتها وحضارتها وتراثها ؟!

أم أنها حرية التعبير والدفاع عن الدين والحريات ؟!

إن هذا فكر غير منطقي ، وغير واقعي ، ولا يراعي طبيعة التكوين البشري الذي جبل عليه الإنسان ، والذي بمقتضاه يرفض الظلم والتسلط والاستبداد ، ويقاوم الغازي والمعتدي .

ومن يرفض هذا المبدأ الواقعي العقلاني كان كمن يعطي للّص مفاتيح خزائنه ليسرقها دون مقاومة !! بل وبابتسامة عريضة ، ثم يمنحه في النهاية وسام الاستحقاق بما اغتصبه منه !!

لقد نجح هنتنجتون في قاعدة الاستقراء العريضة بما توفر لديه من معلومات ، والتي أبرزها من خلال الأحداث ، وتفسير الظاهرة ، لكنه فشل في إقناعنا بتصوراته لأنها تفتقد الموضوعية ، وتفسَّر عناصرها وفق رؤية مسبقة حاول إثباتها !!

وهذه إحدى إشكالية المنهج عنده ، ولو أنه تحرى الدقة والتزم الأمانة العلمية لاستقامت كثير من رؤاه وتصوراته .

على أن صدر الإسلام قد شهد العديد من المعاهدات بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب والوثنيين والتي أظهرت مدى احترام الإسلام

﴿٣٦﴾

لإنسانية الإنسان مع ما كان في بعضها من شروط مجحفة – كصلح الحديبية – ولم يبدأ المسلمون قط بنقض المعاهدات [١] ، وهذه صورة مشرقة لم تصل إليها أكثر دول العالم ديمقراطية .. عندما تسطوا على مقدرات الشعوب بغير حق وتجعل لغة المعاهدات منطقاً للأقوياء فحسب !! وثمة أمثلة كثيرة في كتابة هنتنجتون تبرز هذه الإشكالية [٢] .

خامساً : إشكالية الإحصاء والوصف :

يعتمد هنتنجتون الوصف والإحصاء قاعدة منهجية حيث يصف الظاهرة من خلال الإحصاءات والرسم البياني والخرائط التوضيحية ولهذا المنهج أثر كبير – لو أحسن استخدامه – في وصف الظاهرة وتتبعها وتوضيح دافعية الإيجابيات وتحليل عوامل السلبيات ، فضلاً عن أنها تعتمد على عناصر قياسية يستطيع الباحث من خلالها قياس عناصر الظاهرة قياساً علمياً موضوعياً .

ومن المفترض أن تؤسس هذه القاعدة المنهجية للواقعية والإصغاء لصوت المنطق والتفاعل مع القضايا المثارة للبحث بعقلانية رشيدة ونظر سديد .

---

(١) وسوف نعمق بمشيئة الله تعالى هذا المعنى أثناء مناقشتنا لنظرية صدام الحضارات لهنتنجتون .

(٢) راجع : صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢١٧ – ٢٢٨) مرجع سابق .

لكن هل تعكس معالجات هنتنجتون هذا ؟ هذا ما سنراه من خلال ما يأتي :

يقول هنتنجتون في القياسات والإحصاءات السكانية : (إن الانبعاث الإسلامي قد غزته بشكل متساوٍ معدلات نمو سكاني مذهلة . إن توسع السكان في الدول الإسلامية ، وبصفة خاصة في البلقان وشمال إفريقيا ، ووسط آسيا قد صار أكبر بشكل هام من ذلك في الدول المجاورة وفي العالم عموماً . ففيما بين ١٩٦٥م و ١٩٩٠م قد ارتفع العدد الكلي للسكان من ٣ر٣ بليون إلى ٣ر٥ بليون بمعدل نمو سنوي قدره ٨٥ر١ % في المجتمعات الإسلامية معدلات النمو تقريباً دائماً كانت أكثر من ٢ % ، وغالباً ما تتجاوز ٥ر٢% ، وأحياناً كانت أعلى من ٣% ، وفيما بين عام ١٩٦٥م و١٩٩٠ مثلاً ، ازداد عدد سكان المغرب بمعدل ٦٥ر٢ % سنوياً ، من ٨ر٢٩ مليون إلى ٥٩ مليون ، مع تضاعف الجزائريين عند معدل ٣ % سنوياً . وخلال نفس الفترة ارتفع عدد المصريين بمعدل ٣ر٢ % من ٤ر٢٩ مليون إلى ٤ر٥٢ مليون . وفي وسط آسيا فيما بين عام ١٩٧٠و١٩٧٣ نما العدد الكلي للسكان بمعدلات : ٩ر٢ % في طاجكستان ، ٦ر٢ % في أوزباكستان ، ٥ر٢ % في تركمانستان ، ٩ر١ % في كيرجستان ، ولكن بمعدل ١ر١ % فقط في كزاخستان ، والتي وصل عدد سكانها إلى ما يقارب نصف سكان روسيا .

والباكستان وبنجلاديش لديها معدلات سكانية تجاوزت ٥ر٢ % في السنة ، بينما كانت إندونيسيا أكثر من ٢ % سنويا ، وعلى العموم فالمسلمون ، كما ذكرنا ، شكلوا ربما ١٨ % من سكان العالم عام ١٩٨٠م وربما من المحتمل أن يصل عددهم إلى ما يفوق ٢٠ % سنة ٢٠٠٠ و٣٠ % سنة ٢٠٢٥م (...) الحجم الأكبر من السكان يحتاج إلى موارد أكثر ، وبالتالي يميل إلى الضغط نحو الخارج ، احتلال إقليم ، ويمارس ضغطاً على الشعوب الأخرى الأقل حركية ديمغرافيا النمو السكاني بالتالي يعتبر عاملاً رئيسياً مساهماً في الصراعات على طول حدود العالم الإسلامي بين المسلمين والشعوب الأخرى) [١] .

ومن خلال تحليلنا لهذا النص نستطيع تقرير الآتي :

إشكالية الوصف والإحصاء عند هنتنجتون :

١ – تعاني منهجية الوصف والإحصاء عند هنتنجتون من إشكالية تمثل عقبة كأداء أمام واقعية وصف الظاهرة وإحصاء عناصرها الديمجرافية (السكانية) ، ذلك أنه لا يستعرض إشكالية السكان في العالم الإسلامي ، وإنما يعرض إشكالية النمو السكاني فيه والتي يرى أنها تمثل تهديداً خطيراً ليس للغرب فحسب ، بل للعالم كله .

---

[١] صـــدام الحضـــارات : هنتنجتون ص (٢٢٧ ، ٢٣١) وانظر الخريطة البيانية للنمو الديمغرافي (السكاني) ص (٢٢٨) .

٢ – يحاول هنتنجتون من خلال هذه القاعدة المنهجية التي التزمها في بحثه استعداء العالم على المسلمين ، وتجميع كل قوى المقاومة لهذا النمو الفاعل والخطير على الإنسانية في زعمه .

ذلك أن النمو الديمجرافي (السكاني) في حد ذاته لا يمثل مشكلة ، وإنما المشكلة التي يمثلها والتي يخشى منها هنتنجتون هي (الأيديولوجية) أو المنظومة الفكرية التي تتميز بها هذه القوة الديمجرافية ، والتي تستطيع نشر فكرها الديني في العالم كله ، والذي أصبح يتنامى في الغرب بدرجة يخشاها الغربيون أنفسهم ممن هم على شاكلة هنتنجتون وغيره .

في حين أن هذه المنظومة الفكرية في حد ذاتها لا تمثل هذه المشكلة المتوهمة ، ولا يمكن أن تؤصل لصدام حضاري ، وإنما طريقة التعامل معها من قبل الآخر هي التي تصورها بهذه الخطورة ، نظراً للتوجس من قوتها الفاعلة ، وقدرتها على الإقناع ، واستيعابها لمشكلات الحياة ، وتجاوبها مع العلم الحديث بصورة لم تتوفر لأي من الديانتين الكتابيتين – اليهودية والنصرانية – .

إن المشكلة الديمجرافية في نظر هؤلاء تتمثل في نمو القوة السكانية الإسلامية أمام مثيلتها في الغرب .

٣ – كما تتمثل إشكالية الإحصاء والوصف عند هنتنجتون في توجيه مناهج البحث العلمي والتحكم فيها لخدمة أفكار متوهمة ومغلوطة

عن الإسلام ، تصوره بأنه قوة إرهابية .

٤ – وتأتي الإشكالية الرابعة في استبعاد هذه القوة الديمجرافية الإسلامية من حوار هادف وبناء يمكن من خلاله استغلال قدرتها وإمكاناتها وطاقاتها لخدمة المجتمع الإنساني بوجه عام عن طريق شراكة فاعلة وحقيقية ، واحترام مصالح كل الأطراف ، والتي لا يمكن أن تتم إلا في إطار الاحترام المتبادل بين أبناء الشعوب والتأكيد على قيم العدل والمساواة والحرية والأصل الإنساني المشترك ، لا على المصالح أحادية القطبية ، أو النظرات الفوقية الاستعلائية ، التي لا تؤدي إلا إلى التلاعب بمصير ومقدرات الشعوب ، الأمر الذي يؤصل للصدام ، ويثير الكراهية والبغضاء ، ويلهب نار الصراع بين الشعوب والذي لا يعود على المجتمع الإنساني إلا بتحويله إلى حلبة صراع ضار يذوب فيه المجموع منتصراً كان أو منهزماً .

إن الذين يروجون لثقافة العنف والصراع من الجانبين الإسلامي [١] والغربي هم الخاسرون ، لأنهم يتحملون وحدهم مسؤلية إراقة دماء الأبرياء من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال ، ويتحملون مسؤولية الزج بهؤلاء إلى صراع يزكوه لهيب السياسات الاستبدادية التسلطية .

---

[١] مهما كانت مبررة .

سادساً : إشكالية الإسقاط والإقصاء والتحيز :

أ – **الإسقاط** : يعاني منهج هنتنجتون في صياغة نظريته الخاصة " صدام الحضارات " من إشكالية الإسقاط المتمثلة في إسقاط رؤاه الخاصة ، إلى جانب إسقاط مبادئ فلسفية وفكرية على معالجته لقضية الثقافة الإسلامية ، وتتمثل إشكالية الإسقاط في عدم واقعية المنهج العلمي ، وكذا عدم انسجام الآراء والتصورات المسقطة مع المسقط عليه ، وتبرز مدى التكلف المصطنع والزائف في معالجة القضايا وكذلك التحكم والتحيز وفرض الآراء ، وتبعية النتائج لما يفترض أن يكون في قرائح الباحثين لا ما يجب أن تكون عليه النتائج من الموضوعية والواقعية .

من ثم يمثل الإسقاط وبقوة عملية اختزال منتقاة ومتقنة للآراء والنتائج من شأنها تغيير ملامح القضايا المثارة للبحث ، والتأثير بالتالي على مسار البحث العلمي الموضوعي الأمر الذي يؤدي إلى تشويه وجه الحق في تلك القضايا ، وصياغة نتائج مبتورة لا تمت في الواقع إلى موضوع البحث بصلة .

وتبرز هذه الإشكالية عند هنتنجتون فيما يلي :

١ – حديثه عن الإسلام والماركسية ، إذ يقول : (في مظهره السياسي ، الانبعاث الإسلامي يحمل بعض التشابه مع الماركسية ، نصوص دينية ، نظرة إلى المجتمع الكامل ، العزم على التغيير

الجذري ، رفض كل القوى التي توجد والدولة القومية والتنوع العقائدي بداية من الإصلاح المتواضع ووصولاً إلى العنف الثوري) [١] .

٢ – حديثه عن الإصلاح البروتستانتي والإصلاح الإسلامي ، إذ يقول : (تشبيه آخر أكثر فائدة مع ذلك ، هو حركة الإصلاح البروتستانتي ، كلاهما كان رد فعل لركود وفساد المؤسسات القائمة ، الدفاع عن عودة الدين إلى شكل أنقى وأكثر إلحاحية ، العمل التبشيري النظام والتنظيم ، والتوجه نحو الناس من الطبقة المتوسطة ، الصاعدة النشطة) [٢] .

ملامح نقدية :

١ – على فرض أن الإسلام توجه إلى المجتمع كما توجهت إليه الماركسية – مع ملاحظة الفارق بين طبيعة كل منهما– فإن الماركسية توجهت إلى المجتمع بفلسفة شيوعية إلحادية تكفر بالدين وبالقيم ، وتختزل الأخلاق في المنفعة واللذة ، وتختزل كل ما هو روحي في كل ما هو مادي ، وكل ما هو إنساني في كل ما هو حيواني .

وتصورها للمثالية ينبثق عن هذه الرؤى الفلسفية ، فضلاً عن ذلك فإنها لا تتوجه إلى كل الطبقات ، وإنما تركز على الطبقة العاملة

---

[١] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢١٦) .

[٢] نفس المرجع ص (٢١٧) .

الكادحة محدودة الدخل ، وقد مثل هذا جنوحاً فلسفياً في معالجة قضية الظلم الاجتماعي الذي سببته الرأسمالية ، والتي أحدثت بمبادئها المادية الظالمة فجوة اجتماعية مثلت هوة سحيقة ذابت فيها الطبقات الفقيرة والمتوسطة .

أما الإسلام ، فقد توجه إلى المجتمع – كل المجتمع – برسالة ربانية شاملة ومتوازنة ، حاربت كل صور الفساد والانحراف ، وقضت على كل ألوان التعصب والعنصرية ، وحاربت الطبقية وساوت بين سائر البشر في الحقوق والواجبات لكنها جعلت التقوى والعمل الصالح مقياس التفاضل بينهم .

وعندما رفض الإسلام فكرة القوميات رفضها لأنها تعمق التمييز العرقي ، وتجعل من صراع القوميات محرقة للبشرية ، وسيادة مبدأ القوة والمصلحة على مبدأ اللين والرحمة ، وفي هذا تدمير لكل قيم السلام والأمن والتعايش المشترك بين الأمم والشعوب .

وفيما يتعلق بإسقاط هنتنجتون رؤى الإصلاح البروتستانتي على حركات الإصلاح الإسلامي نرى أن ذلك يبطل بأمرين :

١ – أن الإصلاح البروتستانتي كان يمثل إصلاحاً لممارسات الكنيسة الفاسدة التي أدت إلى محاربة كل رأي يصطدم بآراء الكنيسة ومنعت الحرية الدينية وصادرت حقوق الأفراد في فهم النص .

٢ – كما أن الإصلاح البروتستانتي كان يمثل أيضاً محاولة للقضاء على سلطان الكنيسة .

ولم يكن في واقع المسلمين نظير لهذا ، لا سلطة دينية ، ولا ممارسات فاسدة لسلطة تصادر الحقوق والحريات تحميها نصوص دينية .

ب : الإقصاء :

الإسقاط والإقصاء كلاهما على طرفي نقيض وكلاهما إشكالية كبيرة لمنهج هنتنجتون في صياغة نظريته " صدام الحضارات " .

أما تناقضها فيتمثل في أن الإسقاط إضافة لرؤى لم يكن لها ما يحاكيها في إطارها العلمي ، وأما الإقصاء فهو إزاحة متعمدة لعناصر أصيلة في الأفكار أو الظواهر أو الأحداث ، وأيا ما كان فهو عبث بجوهر القضية المثارة للبحث يدل على نوايا الباحث وأغراضه .

وأما إشكاليتهما فتتمثل في أن كليهما تحيز ظاهر لآراء مستبطنة في عقل الباحث يريد لها الظهور لتحل محل الظاهرة الحقيقية ، وغالباً ما تندفع بالتعصب وتتعمد التشويه .

ومن ثم نستطيع القول بأن هنتنجتون بمنهجيته هذه قد أقصى عناصر موضوعية وإيجابية كثيرة من الحقائق العلمية والتاريخية ليدعم نظريته في صدام الحضارات ويؤصل لها تأصيلاً غير موضوعي ، مما يسفر عن نتائج غير علمية ناشئة عن أخطاء منهجية

ومن المؤكد أن ما أقصاه عن دائرة البحث وموضوعه كان من شأنه إن لم ينقض الاصطدام بأفكاره التي يريد فرضها .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما يلي : إقصاء هنتنجتون دور الرسول محمد ﷺ من مسيرة البناء الحضاري .

بالدراسة والتحليل والنقد نجد أن هنتنجتون قد قام بإقصاء دور الرسول محمد ﷺ من مسيرة البناء الحضاري في حين أبرز دور رسل اليهود ومبشريهم ، وفلاسفة اليونان السفسطائيين (١) ورجال الأدب الصينيون ، وبراهمة الهنود ، والسنجا البوذيين . وإن أشار إلى علماء الإسلام (٢) ، فلم يشر إلى رسول الله محمد ﷺ .

ولأنه لم يرقه الحديث عن الرسول ﷺ ودوره العظيم في البناء الإنساني الحضاري القائم على الاعتقاد الصحيح ، ومبادئ العدل والإخاء والمساواة ، ومبادئ الخير والجمال ، أو لأنه لم يرد أن يؤمن بدوره ﷺ الرائد في هذا البناء الذي غير مجرى التاريخ الإنساني ، وقضى على كثير من صور الظلم والقهر والتسلط والاستبداد وصور الانحراف الاجتماعي ، والفساد السياسي بصورة ليس لها مثيل في

---

(١) مع التحفظ على كون السفسطائية الجدلية نهوضاً حضارياً وكذا البرهمية والبوذية والأدب الصيني ، ففي كل من هذه الاتجاهات تصادمات ، بل وتناقضات مع أصول الاعتقاد السليم ، والرقي الإيماني الخالص من شوائب الشرك ، ومع النهوض الإنساني الحضاري المجرد من الطبقية والقائم على المساواة في الأصل الإنساني المشترك بين بني البشر .

(٢) راجع : صدام الحضارات ص (١١٤) مرجع سابق .

تاريخ الإنسانية .

فلأنه لم يرقه هذا ولا ذاك أقصى هذا الدور العظيم للرسول ﷺ في هذا البناء الذي أذهل ساسة العالم وعلماء الاجتماع والتاريخ والحضارة وعلم النفس ، وكثير من كبار المفكرين غير المسلمين الذين أشادوا بهذا الدور الرائد في صياغة الإنسان وبناء الحضارة .

كما أقصى هنتنجتون في هذا الصدد الإشارة إلى الأندلس بوصفها إسلامية ، وأبى إلا أن يطلق عليها أسبانيا إذ يقول : (خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر كافح الغربيون من أجل توسيع سيطرتهم إلى أسبانيا ونجحوا في إقامة هيمنة فعلية في حوض المتوسط . وتبعاً لذلك ، فإن نهوض القوة العثمانية أدى إلى " انهيار أول حضارة أوربية عبر القارات ") [١] ، وعندما تحدث عن المغاربة لم يصفهم بالمسلمين وإنما قال المغاربة الأندلسيون) [٢] .

وتجريد الأندلس من صبغتها الإسلامية ، وكذا تجريد الخلافة العثمانية من هذه الصبغة ليس إلا أمراً متعمداً ، أراد هنتنجتون من خلاله تجريد الإسلام من كثير من نجاحاته ومظاهره الحضارية .

---

[١] صدام الحضارات ص (١١٨) .

[٢] نفس المرجع ص (١١٨) .

ج : التحيـــز :

لا ريب أن القارئ لفكر هنتنجتون يستطيع إدراك كثير من صور التحيز ، وقد استحوذت على كثير من رؤاه وتصوراته ، ومعالجته لإشكالية ما يسميه بالصدام الحضاري ، مما أفقد البحث مصداقيته وموضوعيته . ولأن هذا التحيز هو السمة العامة لكتاب هنتنجتون .

لذا فإننا نكتفي بالإشارة هنا إلى بعض الأمثلة التي توضح ذلك ومنها:

١ – تحيزه في تقسيمه للخريطة العالمية (١) !!

٢ – زعمه أن التراث المسيحي الغربي هو وحده القادر على تحقيق الديمقراطية ، وأن الإسلام غير قادر على مواكبة التطور(٢).

٣ – إعلائه للروابط الثقافية بين دول الاتحاد الأوربي وانتقاصه للروابط الثقافية بين المسلمين وإفراد الغربيين بمعاداة الإسلام (٣)!!

٤ – انتقاصه للثقافة الإسلامية ، وتصويرها بأنها عدائية ، وأن الثقافة الغربية هي ثقافة السلام (٤) !!

---

(١) صدام الحضارات ص (١٥ / ٧٤) .
(٢) نفس المرجع ص (٨٠ ، ٨٦ ، ١١٨ ، ١٥٥ ، ٥٦ ، ٦٣) .
(٣) نفس المرجع ص (٧٩) .
(٤) صدام الحضارات ص (٨٦) .

٥ – قوله العلمانية نتاج متميز للحضارة الغربية [٢].

وهناك الكثير من الأمثلة التي تبرز تحيزه للغرب وثقافاته ، وبخاصة لدولته التي ينتمي إليها ، وهي متناثرة – كما أشرت – في ثنايا كتابه صدام الحضارات .

والتحيز آفة البحث العلمي، فهو يفقد الإنسان قدرته على التمييز بين الحسن والقبيح ، والجيد والردئ ، والصحيح والخاطئ ، الأمر الذي يؤدي إلى اضطراب النتائج ، بل وخطئها . وصدق الله العظيم إذ قال ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** ﴾ [٣] ، وسكوت الإنسان عن الحق يعمي ويصم .

سابعاً : إشكالية التناقض :

يمثل التناقض إحدى إشكاليات لمنهج هنتنجتون في صياغته لنظريته الخاصة حول الحضارات في العديد من معالجته وتأصيله للأسس التي انبنت عليها نظريته ، إذ لم تخل مادتها العلمية من تناقضات ، واضطرابات في قراءة التاريخ ، بل وفي عناصر الاستدلال وفي هذا مخالفة لقواعد البحث العلمي ، ومجافاة للموضوعية يؤدي إلى خطأ في النتائج .

---

[٢] المرجع السابق ص (١٢٤) .

[٣] سورة الجاثية : (٢٣) .

على أن نتائج البحث تقاس بمدى التزام الباحث بمنهجيته وضوابطه وبمدى مصداقيته العلمية والموضوعية في التناول والمعالجة وأي بحث أو نتائج خلت من هذه المقاييس والضوابط ، أو صيغت وفق ضوابط خاصة ، لا تعدو كونها تعبيراً عن آراء الباحث ورؤاه الخاصة ، لا عما يجب التعبير عنه من الحقيقة والموضوعية في إطار الأمانة العلمية والتجرد والإنصاف .

مثـــــال :

من الأمثلة الدالة على تناقض هنتنجتون في تأصيله لنظريته تلك أنه بينما يؤصل لصراع الثقافات بين الحضارات يعود ليتمحور حول المصلحة المشتركة [١] ، للائتلافات وتكتّلات القوى وسياسة المحاور للكيانات الكبرى في العالم عندما تجتمع للدفاع عن مصالحها المشتركة مع الأطراف الأخرى ، الأمر الذي يترتب عليه مواجهة وصدامات تفوق التحليلات والأهداف السياسية وتتعداها إلى صدامات دامية مسلحة .

وهنتنجتون بهذا يضعنا أمام تأصيلين لنظريته يتمثل أحدهما في الثقافة ، والآخر في المصالح ، في حين أنه لم يشر إلى هذه الثنائية ، ولم يذكر المصلحة كسبب من أسباب الصراع قبل الشروع في تأصيله للنظرية تلك . بل إنه ينفي أن تكون المصالح الاقتصادية عاملاً مـــن

---

[١] صدام الحضارات ص (٧٥) .

عوامل الصراع .

يقول هنتنجتون : (في هذا العالم الجديد ، فإن أكثر الصراعات انتشاراً وخطورة لن تكون بين طبقات اجتماعية غنية وفقيرة ، أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية ، ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة – ويستطرد قائلاً – : الحروب القبائلية ، والصراعات العرقية والإثنية سوف تقوم داخل حضارات ، إن العنف بين الدول والجماعات من حضارات مختلفة ، مع ذلك سوف يحمل معه قابلية التصعيد حينما تنهض دول أخرى ، وجماعات أخرى من هذه الحضارات لتآزر وتدعم دولها بالنسب – على حد تعبيره –) [١] وهذا اضطراب واضح في تأصيل هنتنجتون لنظريته .

وثمة مثال آخر :

بينما يتحدث هنتنجتون – زاعماً – عدم إمكانية الإسلام مسايرة التطور[٢] ، يذكر عن د . حسن الترابي قوله : (لا الاشتراكية ولا الوطنية سبب في تطوير العالم الإسلامي ، ولكن الدين هو محرك التطور) [١] .

على أن نص الترابي ينقض زعمه .. وهكذا لا يخلو تأصيله لنظريته من التناقض والاضطراب .

---

[١] صدام الحضارات ص (٧٤ ، ٧٥) .
[٢] المرجع السابق ص (١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٣) .
[١] صدام الحضارات ص (١٩٩) .

ثامناً : إشكالية التعميم :

يعتبر تعميم الأحكام والنتائج إحدى إشكاليات منهج هنتنجتون في محاولة تأصيله لنظريته المزعومة " صدام الحضارات " ذلك أن التعميم آفة من آفات منهج البحث العلمي ، فهو يبتعد بالباحث عن دائرة الحقائق العلمية ، ويتنافى مع الموضوعية ، مع أنهما يعتبران أساساً للوصول إلى التفكير العلمي المنطقي الذي يعبر عن الحقيقة وليس الأهواء الشخصية ، ومجافاة ذلك يمثل نكوصاً عن المنهجية العلمية المنضبطة ، إذ أن النتائج أو الأحكام الصادرة بشأن قضية ما قد تصدق على بعض الجزئيات ، أو بعض الوقائع والأحداث ولا تصدق على الكليات ، وبناء على ذلك فإن تجاوز حدود هذه الجزئيات بتفتيق حدود خصوصيتها أو جزئيتها تحميل للأدلة ما لا تحتمله ، سواء أكانت نصاً دينياً أو عقلياً أو حدثاً واقعياً أو تاريخياً ، فهي تعني صبغة بعض الوقائع بأحكام قد لا تتفق وطبيعتها في إطارها العام .

ومع أن هنتنجتون يعي هذا تماماً ، ويعترف في بحثه هـذا بخطورة التعميم ، إلا أنه وقع فيه .. يقول هنتنجتون : (إن التعميم العابر دائماً خطير وأحياناً خطأ) [١] .

أما دليل مخالفته لهذه القاعدة العلمية فيتمثل فيما يلي :

---

[١] صدام الحضارات ص (٢١٨) .

١ - قصور الأديان المهيمنة عن إشباع الحاجات العاطفية والاجتماعية للمتضررين ، وهذا مبدأ وضعه هنتنجتون ضمن مبادئ أخرى أسس عليها نظريته ، وهو مبدأ غير منسجم مع ذاته ، كما أنه غير منسجم مع الواقع .

أما عدم انسجامه مع الواقع فتمثل في اعتماده على تعميم الأحكام على كل الديانات الكبرى لا سيما المهيمنة - على حد تعبيره - وهذا تعميم خاطئ ، فهذا الحكم وإن صدق على بعض هذه الأديان لا يصدق بالضرورة على البعض الآخر ، والإسلام طبقاً لهذا المبدأ لا يفي بالحاجات العاطفية والاجتماعية للمتضررين ، وهذا خطأ منهجي وعلمي .. فالإسلام بكليته موجه إلى العقل والقلب ..، إلى الروح والجسد ..، إلى الدنيا والآخرة ، وهو قادر على إحداث التوازن بين هذه القوى في النفس والمجتمع إذا ما صدقت النوايا للالتزام بمنهجه ، أما إذا لم تصدق النوايا وانحرف الإنسان عن اتباع المنهج ، فإن ذلك يوقعه في متاهات وظلمات لا مخرج منها إلا بالإيمان به والالتزام برسالته ، ولك أن تقارن هذين الاتجاهين وآثارهما الخطيرة والمدمرة للنفس الإنسانية إذا ما كان الأثر سلبياً ترتب على النزوع إلى المخالفة ، أو إحياء القلب واستقرار النفس واطمئنانها ، إذا ما كان الأثر إيجابياً ترتب على الاتباع والالتزام بمنهج الله تعالى .

لك أن تقارن هذين الاتجاهين في قول الله تعالى ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ (١) .

وفي قول الله تعالى ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً . ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً** ﴾ (٢) .

وقوله تعالى ﴿ **قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منّي هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى** ﴾ (٣) .

وقوله تعالى ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين** ﴾ (٤)

---

(١) سورة يونس : (٦٢ – ٦٤) .
(٢) سورة الإسراء : (٧٠ ، ٧١) .
(٣) سورة طه : (١٢٣ – ١٢٧) .
(٤) سورة الزمر : (٢٢) .

وقوله تعالى ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعَّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾ [١] .

هذا والأدلة على ذلك كثيرة وكلها تدل على ما يلي :

١ – أن ثمة منهج إلهي للإصلاح .

٢ – ضرورة الالتزام بهذا المنهج .

٣ – ثمرات الالتزام بهذا المنهج .

٤ – خطورة مخالفة المنهج على مسيرة الإصلاح .

٥ – آثار المخالفة في الدنيا وفي الآخرة .

فهناك إيمان وعمل ، ولابد منهما معاً ، فمن آمن ولم يعمل بما آمن به ، أو عمل وهو لم يؤمن ، ضل سعيه وإن آتاه الله ثمرات ما عمل في دنياه بأن يتقدم ويترقى ويتطور ويزداد ثراء ، لأن ارتباط الأسباب بالمسببات سنة إلهية كونية ، فمن باشر الأسباب جنى ثمار عمله ، وهذه نتيجة لكنه إن باشرها وهو غير مؤمن وأجرى الله تعالى له نتائجها فهذا لا يعني أنه هُدي وسعد في دنياه .

أما الأديان التي توعد معتنقيها الجنة بلا عمل ، فهي أديان غير واقعية وتغرق أتباعها في أوهام وحيرة ، من ثم كان تعميم الأحكام هنا خطأ محض .

---

[١] سورة الأنعام : (١٢٥) .

هذا عن تناقض مبدأ هنتنجتون مع الواقع ، أما تناقضه مع ذاته فيتمثل في أنه ذكر أن الأديان الكبرى لا تفي بحاجات المتضررين عاطفياً واجتماعياً ، بصورة عامة وقاطعة ، لكنه ناقض نفسه عندما ذكر أن المسيحية (وفرت وقد حملت رسالة الخلاص للشخص والمصير الفردي ارتياحاً أكثر في وقت من التيه والتغير) [١] .

وفي مجمل هذا التناقض أو ذاك يقول هنتنجتون : (إذا كانت الديانات المهيمنة تقليدياً لا تفي بالحاجات العاطفية والاجتماعية للمتضررين ، تتحرك جماعات دينية أخرى لتقوم بذلك ..) [٢] إلى أن ذكر النص السابق .

فهل يستطيع الأتباع بممارساتهم البشرية أن يحققوا ما لم تحققه دياناتهم ؟! اللهم إلا إذا كان بعضهم لا يثق بمنهجه الديني ، وقد ارتأى فيه كثيراً من جوانب القصور تعوق مسيرة إصلاحهم ، وهذا قد يصدق في الأديان الوضعية وكذلك في الأديان المحرفة .

أما الدين الصحيح الذي لم يحرف ولم يبدل ويثق فيه معتنقوه فهو جدير بالإصلاح ورفع الضرر بمختلف صوره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية .

---

[١] صدام الحضارات : هنتنجتون ص (١٩٦) مرجع سابق .

[٢] نفس المرجع ص (١٩٦) .

وإذا ما أردنا أن نحلل ظاهرة الانتحار وهي مرض نفسي وأخضعناها للمقاييس الدينية ، فإننا نجدها تنتشر في المجتمعات المادية واللادينية بنسبة كبيرة بحيث تتضاءل أمامها ذات الظاهرة في المجتمعات الدينية لا سيما تلك التي تدين بدين صحيح كالمجتمعات الإسلامية ، ولك أن تقارن هذه الظاهرة في المجتمعات الغربية والمجتمعات الإسلامية [١] أي أن هذه الظاهرة (تتناسب طردياً مع الرقي الحضاري) [٢] .

وذلك لأن المجتمعات المادية تخضع حياتها لفلسفات مادية وإلحادية ، وتفصل نظرية المعرفة عن الدين ، وتعمق المبدأ العلماني في إقصاء الدين عن الحياة بوجه عام ، بخلاف المجتمعات الإسلامية المنضبطة التي تؤسس لنظمها وفق رؤية دينية قوية .

لعلنا من خلال ما سبق نكون قد وضحنا بطلان نظرية " صدام الحضارات " من حيث منهجية صياغتها والتي اشتملت العديد من الإشكاليات المنهجية التي وقع فيها هنتنجتون ، والتي لم تؤد بنظريته إلا إلى مزيد من التهافت ، وقد اتضح أن هذه النظرية من ناحية المنهج ليس لها في ميدان العلم نصيب من المنهجية والعلمية .

---

[١] راجع في هذا : الإسلام بين الشرق والغرب . علي عزت بيجوفيتش ص (٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٩٥ ، ٢٨٦ ، ٨٩ ، ١٢٧ – ١٣١) مرجع سابق .

[٢] نفس المرجع ص (١٢٢) .

هذا وفيما يلي نقد أسس النظرية :

نقد أسس نظرية صدام الحضارات لهنتنجتون

فيما يلي نتناول أسس نظرية هنتنجتون " صدام الحضارات " من خلال منظور نقدي يوضح مدى واقعية هذه الأسس من عدمها ، ومدى صحتها من خطئها .

نقد الأساس الأول : التماثلات والاختلافات والمصالح والمتناقضات :

ونعتمد في هذا النقد على ما يلي :

أ – نقد مبدأ التماثلات والاختلافات .

ب – نقد مبدأ المصالح والتناقضات .

أولاً : نقد مبدأ " التماثلات والاختلافات " :

قد يكون ما ذهب إليه هنتنجتون من أن الدول أو الحضارات المتماثلة تتناغم وتنسجم مع بعضها لوجود جسور التقاء بينها صحيحاً وقد لا تجد الحضارات أو الدول المختلفة أيديولوجياً ودينياً ، هذه الجسور ودوائر الالتقاء ، وقد يكون هذا صحيحا أيضاً .

بيد أن هذا لا يمثل حتمية تاريخية ولا ضرورة فرضية ، فقد تختلف الدول المتماثلة والحضارات المتناغمة ويجرها قوادها في غيبة من الحكمة والموضوعية والعقلانية ، وبدافع الأنانية ، والقطبيـــــة

أو المركزية إلى بؤر من التوتر يحطم كل جسور الالتقاء ، ويقضي على آمال الشعوب في السلم الاجتماعي والانسجام الذي كان بالأمس منظوراً أو مأمولاً !!

وقد تدفع الدول والحضارات المختلفة رغبة ملحة في القضاء على كل بؤر التوتر التي تجرها إلى الخلاف ، بل إلى القتال .

والواقع التاريخي يشهد بذلك ، فالحرب العالمية الأولى والثانية نشأتا في الغرب وبين دول غربية استقطبت كل منها دولاً أخرى شرقية ، بدافع الهيمنة والتسلط والاستبداد والقهر ، وحققت من التصفية العرقية ، والمجازر الدموية ، والمقابر الجماعية ما لم يكن له مثيل في التاريخ ، مع أن هذه الدول الكبرى تحمل حضارة واحدة ، وثقافة واحدة .

ولم يزل التوتر قائماً داخل الحضارة الغربية بين الطوائف المسيحية المختلفة ، وربما تكون مشكلة أيرلندا الشمالية مع بريطانيا مثلاً يؤكد ذلك ، ولا يزال الأيرلنديون يرزحون تحت نير الاحتلال البريطاني ، وتتعامل بريطانيا بكل حزم في استئصال كل محاولات التحرير ، ولم يوضع لهذه المشكلة حل حتى الآن .

هذا كله يحدث داخل الكتلة المتماثلة – على عكس ما يرى هنتنجتون – وقد نشأت داخل هذه الكتلة المتماثلة ما يعرف بسياســة

الأحلاف والمحاور – حتى فيما عرف بالحرب الباردة – بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً ، والتي قسمت – ليس الغرب فحسب إلى أوربا الغربية وأوربا الشرقية وإنما قسمت العالم كله إلى قسمين قسم موال للأولى وآخر موال للثانية ، إذا ما استثنينا دول عدم الانحياز، وهذا يدل بالتأكيد على احتمالية ورود القيم المتناقضة داخل الكتلة المتماثلة .

ومع أن هذا الاستقطاب السياسي الذي اتبعته كلتا القوتين العظميين في ذلك الوقت ، كان يضم دولاً وحضارات غير متناغمة وغير منسجمة أيديولوجياً .

ومع أن هنتنجتون قد تحدث عن هذه القضايا[١] إلا أنه يتجاهلها أو يطوعها لتدعيم نظريته .

ويتناسى هنتنجتون أن (السياسة الألمانية إذا كانت تتعاون مع السياسة الأمريكية وتتلاقى في موطن المجابهة بينهما ، وكذلك ربما تتغاضى السياسة الأمريكية إلى حد ما عن تجاوزات ألمانيا في نظرها فهذا لا يعني أبداً أن أحلام الشعبين الألماني والأمريكي واحدة ، ولا يعني أبداً أن الشعبين على وفاق وصلة وثيقة . إن حجم الكراهية الذي يبديه الألمان للأمريكان يفوق كل تصور فضلاً عن الصراع على النفوذ بين دول الاتحاد الأوربي وبعض دول أوربا الأخرى .

---

[١] راجع : صدام الحضارات ص (١٠١ – ٢٦٢) مرجع سابق .

وإذا كان هنتنجتون يشير أكثر من مرة إلى الخلاف الأرثوذكسي الكاثوليكي ، فإنه يتغافل الهوة العميقة التي تفصل البروتستانت عن الكاثوليك والصراعات الدامية بين المذهبين) [١] .

وهذا ينقض مبدأ التماثل والاختلاف عند هنتنجتون من حيث أنه يركز على ثلاث قضايا جوهرية في الأيديولوجية الغربية تتمثل في:

١- العلاقات بين ألمانيا والولايات المتحدة .

٢- موقف الدول الاسكندنافية من الاتحاد الأوربي(الأعضاء الاثنى عشر)

٣ - الخلافات المذهبية الدامية داخل الكتلة المتماثلة .

تناقض هنتنجتون ذاته في تأصيل مبدأ التماثل والاختلاف :

١ - بعدما قرر هنتنجتون مبدأ التماثل كأساس لنظريته نقضه عن غير عمد في حديثه عن الحضارة الغربية ذي الشعب الثلاث : أمريكا اللاتينية ، الولايات المتحدة ، أوربا ، فمع أن كثيراً من دول أمريكا اللاتينية يغاير أيديولوجياً الولايات المتحدة ، وأن دولها تبحث عن تأكيد ذاتيتها ، وأن بعض دولها في مصادمات سياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أنه يرى رغم ذلك إمكانية دمج هذه الشعبة بالشعبتين الأخرتين في الحضارة الغربية ، وهما الولايات المتحدة وأوربا (وهنتنجتون – بهذا – يواجه مشكلة كبيرة في تقسيمه هذا..،

---

[١] الإسلام والغرب لبريان بيدهام . جودت سعيد وعبد الواحد علواني ص (٢٠١، ٢٠٢) مرجع سابق بتصرف .

مشكلة في التحليل والمنهج ، فهو متحيز في التعاطي مع الانقسام الحضاري داخل " الغرب " ومتساهل في ترقيع الاختلافات حتى لا تسبب صدامات حضارية داخل أوربا وخارجها) [١] .

مع أنه من الناحية النظرية وطبقاً لمبدأ التماثل والاختلاف لهنتنجتون لا يمكن اندماج أمريكا اللاتينية مع الولايات المتحدة وأوربا للاختلاف الأيديولوجي والسياسي .

٢ – وفي الجانب الآخر يحاول هنتنجتون تبرير اندماج أسبانيا ذات الحضارة المختلفة ، وأيضاً اللغة المختلفة(الأسبانية ، والحضارة الأيبيرية) عن أوربا في الكتلة الحضارية الأوربية وهو أيضاً (يواجه هنا مشكلة كبيرة في تحليله مطبقاً لطرح صدام الحضارات لا تقبل أسبانيا بأن تكون مجرد دولة عضو في حضارات أوربية حيث إنها تستطيع – أو تنتمي إلى الحضارة الأيبيرية – إن هذه النقطة تنفي الأساس الذي يقيم عليه هنتنجتون افتراضه حول صدام الحضارات) [٢] أي أن افتراض هذا الاندماج من الناحية النظرية ، وطبقاً لمبدأ التماثل والاختلاف لا يمكن تصوره[٣]، لكن وقوعه بالفعل ينقض هذا المبدأ .

---

[١] تعليق المترجم لكتاب صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢٥٦) بتصرف يسير .

[٢] تعليق المترجم ص (٢٥٥) من نفس المرجع .

[٣] راجع في هذا : الإسلام والغرب والديمقراطية قراءات وتعليقات على مقالتي : صدام الحضارات لهنتنجتون والإسلام والغرب لبريان بيدهام. جودت سعيد وعبد الواحد علواني ص٢٨، مرجع سابق .

فلماذا يبرر هنتنجتون انضمام هذه الدول إلى الحضارة الغربية في إطار من التفاعل الحضاري والتعايش السلمي وصناعة المصير المشترك وبناء الهوية مع الاختلافات الجوهرية في البنى والرؤى الحضاراتية في حين يجعل هذه الشراكة مستحيلة مع دول أخرى غير غربية ، أو دول غربية إسلامية كالبوسنا مثلاً وهو الذي ذهب إلى أن الدول الأوربية لا تريد دولة إسلامية في الاتحاد الأوربي [١] ؟!!

على أن هناك من المفكرين الغربيين وهو (بيدهام) من ينتقد تقسيم هنتنجتون التماثلي في إشارة إلى خطأ في التحليل والمنهج من خلال طرح الأول لتقسيم حضاري للعالم يختزله في خمس حضارات بدلاً من اختزال هنتنجتون العالم في تقسيمه إلى ثماني حضارات (ذلك أن حضارة أمريكا اللاتينية تندرج في إطار الثقافة الغربية ، وحالهم في ذلك حال السلاف الذين يمثلون المذهب المسيحي الأرثوذكسي ويختلفون بذلك عن الغرب الكاثوليكي أو البروتستانتي ، ولكنهم في صلب الثقافة الغربية .

وهذا أيضاً حال اليابان مع الثقافة الصينية إذ تندرج في إطارها على الرغم من الاختلاف والفوارق . وكذلك يدحض بيدهام قول هنتنجتون حول ثقافة الهندوس الهنود ويقول : بأن ثقافة الهندوس على فرادتها ليست وربما لن تكون أيديولوجية مواجهة في عالمنـــــا

---

[١] صدام الحضارات : هنتنجتون ص (٢٣٨) .

المعاصر [١] .

وهذا التقسيم على الأقل إن لم يكن مناقضاً لتقسيم هنتنجتون فإنه يدل على أخطاء في تقسيماته المعتمدة على فهمه لمبدأ التماثل والاختلاف .

ثانياً : نقد مبدأ " المصالح والتناقضات " :

إن كان بإمكان دولٍ أو حضارات ما الاتفاق على المصالح المشتركة فيما بينهما ، فإن من الخطأ قصر ذلك على الدول الغربية ، ذلك أن احتمالية امتداده ليشمل دولاً أخرى شرقية وارد عقلاً وغير مستحيل ، وهذا خطأ من حيث المبدأ السياسي ، ومن حيث اصطدامه بالواقع . وعلى سبيل المثال فإن الدول الغربية التي كانت بالأمس متناحرة استطاعت التغلب على الخلافات عقب انتهاء الحرب الباردة وكونت اتحاداً منسجماً هو الاتحاد الأوروبي ، مع أنها كانت متناقضة أيديولوجياً ، ومنقسمة إلى قسمين : قسم يتبنى النظام الرأسمالي وينظر له ويحمل راية الديمقراطية والحريات ، وقسم كان يتبنى النظام الشيوعي وينظر لنظرية الحكم الشمولي الديكتاتوري القمعي .

وقد تحولت بعض الدول الشيوعية التي ساد فيها الإلحاد إلى الرأسمالية بعد زوال الاتحاد السوفيتي ، واستطاعت التغلب علـــــى

---

[١] الإسلام والغرب والديمقراطية : جودت سعيد وعبد الواحد علواني ص (٥٣) مرجع سابق .

المتناقضات والتفت حول مصالحها لشعورها بخطر الفرقة والتناقض الأيديولوجي على أمنها ومصالح شعوبها ، ولا يعني هذا نجاح الرأسمالية وتفوقها ، وإنما يعني نجاح القوة السياسية في إدارة الأزمة والتي حسمت الحرب الباردة ، لا سيما أن النظام الرأسمالي ينزع إلى المادية والعلمانية كما أن الشيوعية ترسخ نزعة الإلحاد والمادية .

ونجاح هذا النموذج في الوحدة الأوربية قد يتكرر بين دول متناقضة أيديولوجياً ، وقد يمتد ليشمل دولاً أخرى غير أوربية أو غربية طالما كان الهدف هو البحث عن المصالح ، وعدم تفعيل التناقضات .

والواقع السياسي يؤكد هذا ، فكثير من دول الغرب لها علاقات متميزة على الصعيد السياسي مع دول عربية وإسلامية منذ فترات طويلة ، وقد ساهمت في نقل التكنولوجيا وتقنية المعلومات إلى هذه الدول الإسلامية ، مع اختلاف الدين والنظم الاجتماعية والمنظومة الفكرية والثقافية ، واستطاعت هذه الدول وتلك أن تحافظ على هذه العلاقة حتى الآن . (وبالأمس القريب فقط كان الغرب يتخذ من الإسلام حليفاً له ضد الشيوعية) [١] مما يؤكد إمكانية التواصل والتعاون المشترك .

---

(١) المسلمون والعولمة د . يوسف القرضاوي . دار الأمل ، ص (١٢٥) ، ط (١) ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

السياسة ومبدأ " المصالح والتناقضات " :

رغم ما أشرنا إليه آنفاً فإن مبدأ المصالح – وللأسف – في المفهوم السياسي لا يعرف الثبات ، فهو متقلب متذبذب ، لا لأن العلاقات بين الدول في دائرة المصالح متناقضة بالضرورة ، ولكن لأن مبادئ السياسة هي التي تتغير وتتبدل وفق أهواء الساسة والزعماء ، ولأن هذه المصالح تتم وفق مبادئ مادية لا أخلاقية .

وهذا المبدأ النفعي اللاأخلاقي [١] على الصعيدين السياسي والاقتصادي الدوليين هو ما يجعل أصدقاء الأمس أعداء اليوم ، وأصدقاء اليوم أعداء الغد ، وهو شعار النفعية والمادية !!

كما أن اتفاقيات المصالح تتعرض للتناقض والاختلاف عندما تفقد توازنية العلاقات ، وتفاوت معايير المصالح بين الدول ، فالدول الكبرى دائماً ما تحرص على تفوقها في الميزان التجاري في الاتفاقيات الدولية ، ودائماً ما تمارس سياسة الضغط على الدول الفقيرة أو النامية للحصول على مكاسب خاصة تحقق أكبر قدر لها من المصالح [٢] ، وفق المبدأ الميكافيللي " الغاية تبرر الوسيلة " الذي

---

[١] الآثـــار الاجتماعـــية للعولمة الاقتصادية . د . أحمد أنور ص (١٧) مكتبة الأسرة ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤م .

[٢] راجـــع فـــي هـــذا الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية د . أحمد نور ص (٧) مكتبة الأسرة ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤م .

يختزل كل المبادئ والمثل والقيم الإنسانية النبيلة في القيم المادية !!

قيم العدل والحوار الحضارية :

إن المتأمل في الأحداث الطارئة على السياسة العالمية في القديم والحديث يجد أن غياب قيم العدل رسخت الظلم وجعلته قيمة مغلفة بالمصالح وتحقيق الذات ، من خلال ظلم الآخر ، ومحاولة محوه من التاريخ ، أو على الأقل وضعه في زاوية بعيدة عن مسرح الأحداث ، وجعله كماً مهملاً ، وكذلك من خلال سلب موارده وخيراته وتجريده من حرياته ، والعمل على تحقيق مصالحه .

وبطبيعة الحال فإن الشعور بالظلم يقضي على كثير من محاولات الحوار الجاد والهادف من أجل تحقيق مصالح القوى المهيمنة والدول الضعيفة ، ويولد بالفعل حالات من الكراهية والعداوة والبغضاء في نفوس الشعوب المقهورة ضد الدول القمعية القاهرة ، من شأنها القضاء على كل إمكانات جسور التعاون ، وتحقيق مصالح الطرفين معاً ، وأضاعت سياسات هذه الأنظمة فرصاً للتآخي والتعايش السلمي ، ومراعاة الصالح الإنساني العام ، وجعلت من القواسم المشتركة بين الشعوب والاحترام المتبادل[١] وهماً ، فخدعت شعوبها وألّهت مصالحها .

---

[١] راجع الإسلام وقضايا الحوار . د . زقزوق ص (٢٨١) ترجمة : د . مصطفى ماهر مكتبة الشروق الدولية ط (١) ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

ولا مرية في أن السبيل الوحيد لإزالة الكراهية والبغضاء بين الشعوب وتحقيق مصالحهم هو تحقيق قيمة العدل ، والالتزام بضوابط الحوار .

الإسلام وقيم العدل والرحمة :

إن الإسلام بشريعته السمحة ، وعقيدته الصافية ، أسس لقيم العدل وفرضها وجعلها ديناً يدين به المسلم ، وطهرها من التعصب والتمييز العرقي والصبغي وجعل العدل قيمة ذاته ، أي قيمة يجب تطبيقها مع كل البشر مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، قال الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾** (١) .

وقال تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾** (٢) .

وقد جعل الله تعالى بهذا العدل قيمة كلية لا تقبل التجزئة أو التفاوت بحيث يقال فلان عادل بنسبة (٩ر٩٩) ، لأن الظلم قد يكون

---

(١) سورة النساء : (١٣٥) .

(٢) سورة المائدة : (٨) .

في الجزء المفتقد ولو كان قليلاً ، فإما أن يكون المسلم عادلاً بنسبة (١٠٠%) أو لا يكون . وبهذه المعايير والضوابط أوصد الإسلام باب المحاباة والهوى أمام تحقيق العدالة ، فلا يكون اختلاف الدين ولا القرابة مبرراً لعدم العدل سواء في ذلك الأفراد أو المجتمعات أو الدول أو الشعوب ، لأن العدل قربة إلى الله تعالى ويجب أن تكون خالصة وتامة ، وتمامها يتنافى مع تفاوتها .

قال تعالى ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً** ﴾ (١) .

وقد جاء الأمر الإلهي بالحكم بالعدل عاماً بين الناس جميعاً (٢) ووصفه بأنه نعمًّا يعظ الله تعالى به المسلمين ، لأن تحقيق العدالة هو القادر على القضاء على الظلم والكراهية والأحقاد والأطماع والأنانية والقهر والتسلط والاستبداد ، وهو الذي يبرز قيمة الإسلام كدين يحمي الحقوق والواجبات والحريات .

ولا مرية أن غياب قيم العدل والرحمة عن أروقة السياسات الدولية ودوائر صنع القرارات العالمية هي التي ترسخ من الكراهية والبغضاء بين الشعوب ، وتجعل من العالم مسرحاً للأحداث الدموية

---

(١) سورة النساء : (٥٨) .

(٢) راجع السياسة الشرعية لابن تيمية ص (١٢١) ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ .

التي تزهق الأرواح ، وتبدد الثروات ، ويتبدل الأمن خوفاً ، والسلم حرباً ، وتعطل الطاقات وإمكانات التعمير والبناء والنهوض الحضاري في العالم !!

وقد علمتنا الأحداث أن سياسة الكيل بمكيالين التي اتبعتها الدول الكبرى مع قضايا المسلمين في العالم لا يمكن أن تحقق العدالة بل تدفع الشعوب إلى مزيد من الكراهية والعداء ، ومن البدهي أن هذه السياسة لا يمكن أن تحقق ما تحققه سياسة المكيال الواحد القائم على تطبيق العدالة بقطع النظر عن انتماءاتها وجنسياتها وأين هي من قول الرسول ﷺ : (رحم الله امرءاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى) [١] .

من ثم يتضح أن مبدأي " التماثلات والاختلافات ، والمصالح والتناقضات " واللذين أسس عليهما هنتنجتون نظريته " صدام الحضارات " مبدءان خاطئان نظرياً وعملياً ، أما عملياً فإن الواقع التاريخي والسياسي قد أبطل مدلولاتهما ، أي أبطل اعتبارهما ضرورتان للاستقطاب والتنافر على الصعيد الحضاري ، الأمر الذي يترتب عليه اندماج الأقطاب المتماثلة في وحدة حضاراتية تجعلها في صـــــدام

---

[١] أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع (٤ / ٤٣٦) حديث رقم (٢٠٧٦) ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م صحيح البخاري مع الفتح .

دائم مع الحضارات المختلفة على ما أسماه هنتنجتون " خطوط الصدع الدامية " .

وأما نظرياً فلأنه قد بقيت إمكانات التلاقي بين المحاور المختلفة والبحث عن المصالح المشتركة ضرورة تتضاءل أمامها بكثير فرضية الصراع والصدام لاسيما إذا ما وضعنا في الاعتبار ما يلي :

١ – الاختلاف لا يعني بالضرورة الصدام .

٢ – تنوع المصالح وتباينها لا يعني بالضرورة التضارب .

٣ – التفكير العقلي المنضبط في البحث عن القواسم المشتركة بين الشعوب للتعاون والقضاء على الخلافات البينية يزكيه الدين الحق (الإسلام) والأديان السابقة قبل التحريف وما سلم من نصوصها بعد التحريف .

٤ – الأفكار لا تفرض بالقوة ،وإنما تعرض وفق آليات الحوار القائمة على الإقناع والاقتناع . وفرض الثقافة بالقوة إرهاب فكري واستلاب للذات ، وتسفيه للعقول ، ولا أراه إلا استبداداً وتسلطاً ديكتاتورياً في عصر يرفع فيه شعار الحريات الدينية !!

٥ – أن تبقى الحقيقة وقيم التعاون والعدالة بين البشر جميعاً الحكمة الغائبة التي ينشدها الإنسان أينما كان موقعه ، في الشرق أو في الغرب ، في الشمال أو في الجنوب .

٦ – التفاعل والتلاقح العلمي بين الحضارات ضرورة للنهوض بمستوى التفكير العلمي في سائر ميادين العلم المختلفة الكيمائية وعلوم الحياة ، والفيزياء والتكنولوجيا وغير ذلك ، وهذا ما يؤكده تاريخ المسلمين العلمي ، فقد كان لعلماء المسلمين المبادرة في مجالات الطب والرياضة وعلم الاجتماع [١] وغير ذلك ، وتعتبر هذه المبادرة منطلقاً للحضارة الغربية الحديثة التي تأثرت بعلوم المسلمين قديماً وتأثرت بهم وأثرت فيهم حديثاً ، وهذا التلاقح في هذه الميادين هو الذي يحقق التعاون المشترك الفاعل في إثراء الحياة ، ومعالجة مشكلات الفقر ، والتلوث البيئي ، والنهوض بمستوى التعليم في العالم على أن الإسلام لا يرى مانعاً من التحالف والتعاهد على فعل الخير) [٢] ، وهذا ما يحقق قيمة التفاعل بين البشر .

وهذا ما يدعو إليه الإسلام من خلال تقرير مبدأ الرحمة كذلك كقيمة جمالية تزكي السلوك الإنساني (فمن رحمة الإسلام أن يشيع الرحمة عامة بين كل الناس فلا يفرق بين قريب وبعيد ، ولا بين غني ولا فقير ، ولا صاحب وعدو ، ولا بين مسلم وكافر بل رحمة عامة

---

[١] راجع في هذا كتاب علوم حضارة الإسلام ودورها في الحضارة الإسلامية . خالد أحمد حربي ص (٢٩) وما بعدها ، كتاب الأمة . الأوقاف القطرية ، العدد : ١٠٤ ذو القعدة ١٤٢٥هـ ، س (٢٤) .

[٢] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث . د. علي محمد الصلابي ص (٦١) دار المعرفة بيروت ط (٣) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

شاملة .. عن أبي موسى الأشعـــري قال : قال رسول الله ﷺ : " لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا : كلنا رحيم يا رسول الله ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة الناس رحمة عامة " [١] [٢] .

هذه القيم الجمالية الإسلامية تتوج قِيم العدالة والتسامح في الإسلام وتحث البشر لاسيما المسلمين على امتثالها حتى مع – الآخر– ومنهم أهل الكتاب ، والمشركون وغيرهم ، فهلاَ رفع هنتنجتون شعار الرحمة والتسامح بدلاً من شعار الصراع والصدام ويجنب العالم ويلات الدمار !!

---

[١] أخـــرجه الحاكم في المستدرك ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، كتاب البر والصلة ، (٤ / ١٨٥) ، ٧٣١٠ ، ط ١ ، المكتبة العلمية ١٤١١هـــ / ١٩٩٠م .

[٢] مقالـــة د . عصـــام البشـــير بعنوان دين الرحمة ، نشر بكتاب صراع الحضارات بين الإســـلام والغـــرب (أربعة وثلاثون مفكراً إسلامياً عالمياً يناقشون القضية) إعداد : خالد عرابي ، تقديم : د . عبد الصبور شاهين ص (٢٧) ألفا للنشر والتوزيع ط (١) ١٤٢٤هـــ ٢٠٠٣م .

ثانياً : نقد الأساس الثاني : فرضية كراهية الآخر وجوهرية العداء :

إبطال المبدأ :

إن مبدأ " كراهية الآخر وجوهرية العداء بين البشر " مبدأ خاطئ ، لأنه يؤسس للصراع والعداء بين البشر ، ولأنه ينطلق من المبدأ الميكافيللي الذي يفترض أن الإنسان شرير بطبعه ، والمبدأ الداروينى " البقاء للأقوى " وهما معاً يعزفان سيمفونية شريرة معادية للجنس البشري طالما كان الإنسان شريراً ، وطالما حفز الأقوى شراً على ضرورة محو الآخر " الأقل شراً " تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة .

وبناءً على ذلك فإن إيمان الأقوياء بغايتهم المتمثلة في حماية وجودهم والتي تستتبع حماية مصالحهم يجعل من سحق الآخر .. الضعيف المقهور وسيلة مبررة طبق قوانين الضرورة المتوهمة بدلاً من احتوائه والتعايش معه ، وهذا مبدأ يحيل حياة البشر إلى غابة يحكمها قانون القوة والرغبة في السيطرة والاستحواذ ، والذي لا يفرز إلا آثاراً غير إنسانية ، مع الوضع في الاعتبار أن هذا القانون ليس مطرداً ، فالقوي لا يكون قوياً إلى الأبد والضعيف لا يكون ضعيفاً إلى الأبد ، فأقوياء الأمس قد يكونوا ضعفاء اليوم ، وأقوياء اليوم قد يكونوا ضعفاء الغد وطبقا لقانون القوة فإن ردود أفعال الضعفاء عندما يصيرون أقوياء ستكون أنكى من أفعال أعدائهـــم بالأمس ،

ولك أن تتخيل حياة البشرية وفق هذا المبدأ اللاإنساني وفي ضوء الفعل والفعل المضاد .

هذا وقد أثبتت الدراسات الإنسانية أن الإنسان مدني بطبعه (١) أي أنه يأنس إلى بني جنسه ، ويميل إلى إقامة علاقات طبيعية معهم .. لكن المشكلة تكمن في تصور صياغة هذه العلاقة وفق أيديولوجيات غير منضبطة أخلاقياً ودينياً ، مما يجعلها تتأسس على معايير متفاوتة تغذيها قيم فلسفية مادية وهابطة تؤدي بالبشرية إلى الانحراف والهبوط ، أو الصراعات والعداوات .

أما القيم الإنسانية النبيلة المستوحاة من الدين الصحيح والمنسجمة مع الفطرة من شأنها ضبط هذه العلاقات وترشيدها والاتجاه بها إلى ما يحقق مبدأ التعارف الاجتماعي الذي يحقق السلم والأمن الاجتماعيين ، والذي لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار توجيه الغرائز والرغبات والحاجيات بالقضاء على الأنانية وحب الذات والأثرة ، وقبول الآخر وتقدير حاجياته ، واحترام رغباته وحقه في تحقيق مصالحه .

عندئذ تدرك كل المجتمعات والشعوب قيمة تحقيق أمنها الاجتماعي واستقرارها في إطار مبدأ تبادل المنافع وإتاحة كل فرص

---

(١) راجع الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة د . أحمد محمد الطيب وآخرون ص(٢٤) ط ١٤٢١هـ / ٢٠٠م .

تحقيق المصالح للصالح الإنساني العام وبدون ذلك لا يمكن تصور حياة بشرية مستقرة ينعم فيها الجميع بالأمن والسلم .

أما مبدأ هنتنجتون " نحن وهم والحتمية التاريخية " أي الصراع وكذلك مبدأه " أدرك عدوك تدرك ذاتك " والمستوحى من قوله (إننا نعرف من نحن عندما نعرف الذين ضدنا) [١] لا يمكن أن يقيما عرفاً بشرياً يعتمد التعارف بين الشعوب المختلفة من أجل تحقيق مصالحها وأمنها ، ويزج بها في دائرة صراع حتمي لا يسفر في النهاية إلا إلى تحقيق مصالح الطرف القوي !!!

إن إنسانية الإنسان – من وجهة النظر الموضوعية – مرهونة بإدراك معاناة الآخر ، وإدراك الإنسان لذاته يبدأ من إدراكه ذوات الآخرين.. الضعفاء.. المرضى..المعوذين..وذوي الاحتياجات الخاصة.. حاجيات الآخر .. حقه في الحياة .. حقه في الانتفاع وتحقيق مصالحه وحق الإنسان في أن يحيا ليس مرهوناً بدولة ولا شعب ولا حضارة دون أخرى ، والاستئثار بهذا الحق انحراف فطري واجتماعي وأيديولوجي لا يؤدي بالبشرية إلا إلى مزيد من الصراع والدمار .

وقد أدرك الإمام ابن تيمية هذه القيم الإنسانية عندما (ذهب إلى " قطلوشاه " قائد التتار الذي استولى على بلاد الشام لإطلاق سراح الأسرى ، فوافق القائد على إطلاق سراح الأسرى من المسلمين فقط ،

---

[١] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٧٤) مرجع سابق .

ولكن شيخ الإسلام قال له : " لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى ، فهم أهل ذمتنا ، ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة " وتم فعلا إطلاق جميع الأسرى) [١] .

وقد أدركها من قبل خليفة المؤمنين عمر بن الخطاب (فقد قال لخازن بيت المال لما رأى يهودياً يسأل الناس : " انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين ..** ﴾ [٢] وهذا من مساكين أهل الكتاب) [٣] .

ولكي تحقق السياسات العالمية والعلاقات الدولية رقياً إنسانياً وقيمياً يجب أن تبنى على هذا الأساس ليحل التعاون محل الصراع والاحترام المتبادل محل العداوة والكراهية والبغضاء .

السياسة وتحديد الهوية :

من مبادئ هنتنجتون في صياغة نظريته " صدام الحضارات " أن السياسة تلعب دوراً محورياً على مسرح السياسات العالمية في تحديد هوية الشعوب والدول والحضارات [٤] ، وهذا مبدأ قد يكون

---

(١) مقـــال د. عصام البشير بعنوان دين الرحمة نشر بكتاب صراع الحضارات بين الإسلام والغرب إعداد خالد عرابي ص (٣٠) مرجع سابق .

(٢) سورة التوبة : (٦٠) .

(٣) مقـــال د . عصام بشير ضمن كتاب صراع الحضارات بين الإسلام والغرب ص (٣٠) مرجع سابق .

(٤) صدام الحضارات ص (٧٤) .

صحيحاً وإن لم يكن الوحيد في تحديد الهوية ، لو أحسنت صياغته ، وخلصت فيه نوايا الدول قاطبة ، لكن الواقع مليء بمتناقضات كثيرة تثبت خطورة اعتماد مبدأ السياسة المجردة في تحديد الهوية ، ذلك أن السياسة في كثير من الأحيان تنطوي على مبادئ لا أخلاقية تحدد معيار الصداقة والعداوة ، فالدول صديقة بمقدار ما تحقق من مصالح للدول الأخرى ، لاسيما الكبرى منها ، ولو كانت هذه الصداقة تصطدم بمصالح الدول الضعيفة ، والدول عدوة بمقدار ما تعارض مصالح هذه الدول ، ولو كان في معارضتها هذه تحقيقاً لأمنها القومي ونهوضها الاقتصادي والعسكري .

وبمعنى آخر نستطيع أن نقول إن تحديد هوية الشعوب وفق مبدأ هنتنجتون يكون مرهوناً بمبادئ نفعية لا تحقق إلا مصالح الطرف الأقوى والدول المهيمنة ، وأن معيار الصداقة هو تقديم التنازلات والرضوخ للسياسات المهيمنة والاستجابة لإرادة هذه الدول ، وإلا فهي عدوة لها يجب أن تعاقب تحت مسميات الشرعية الدولية وتحت مظلة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المنبثقة عنها ، وهذا ما حدث بالفعل في العديد من الدول منها السودان وسوريا والعراق وإيران وكوريا الشمالية والبوسنة والهرسك وأفغانستان والشيشان .. وغيرها ، ولا ندري ما تخبئه السياسات المهيمنة في غدها القريب أو البعيد ، وفق نظرية هنتنجتون " صدام الحضارات " .

وهذا ما يثير بطبيعة الأمر حفيظة الدول الضعيفة أو النامية ، ويثير حمية الشعوب من أجل الدفاع عن ذاتها وكيانها وتحقيق هويتها .. إن مبدأ أنت صديق بمقدار ما أنت خاضع ، وعدو بمقدار ما أنت مقاوم ومعتز بهويتك ،لا يفرز إلا صراعاً مريراً على مسرح الأحداث العالمية ، فطبيعة الشعوب تأبى الخنوع والخضوع واستلاب الذات وضياع حقوقها ومصالحها ، ومن ثم تهب دفاعاً عنها .. وقد يدفعها هذا إلى مقاومة هيمنة الدول الكبرى ، ومن ثم يلتهب الصراع وتتسع دائرة الصدام .

ومن الخطأ أن نصف هذه الدول التي تدافع عن ذاتها بأنها دول شريرة أو إرهابية ، ومن غير الموضوعي أن نسلط الأضواء على ردود الأفعال ونتجاهل الفعل .

من ثم يتحتم التعاون المتوازن بين الدول لتحقيق مصالحها في إطار " التكامل والتفاعل " [١] للحفاظ على الحريات وسيادة الدول وحقها في تقرير مصيرها وتقدير مصالحها ، وهذا وحده هو المعيار الحقيقي والمقياس الصادق للحكم على الدول والشعوب بأنها صديقة أو عدوة ، أما اختلال هذه العلاقات المتوازنة التي تراعي فيها مصالح كافة الأطراف لا يسفر إلا عن معارضة ، ثم نزاع ، ثم صـــــراع ،

---

[١] راجع : من أجل استراتيجية حضارية د. أنور عبد الملك ص (٢٥٦) مكتبة الشروق الدولية ط (١) ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .

ثم صدام في النهاية ، وهذا هو العدو الحقيقي للبشرية .

ولا يمكن أن يتحقق في ضوء هذه المبادئ السلم العالمي، الذي تتطلع إليه الشعوب على مختلف دياناتها وفلسفاتها ونظمها وأيديولوجياتها بعد معاناة شديدة في ليل مدلهم في أروقة السياسة ودوائر صنع القرارات العالمية وإدارة أسواق المال ، وتعميق الطبقية بتمجيد رأس المال ، واعتبار القيمة متغيراً لا ثابتاً (١) .

حتمية التعاون لا حتمية الصدام :

إن حتمية التعاون السلمي والأمن الاجتماعي يجب أن تحل محل حتمية الصدام والنزاع المسلح ، وحتمية الحدود الآمنة يجب أن تحل محل حتمية الحدود الدامية ، وحتمية الاحترام المتبادل يجب أن تحل محل حتمية الهيمنة والتسلط والاستبداد ، والنظرة الأحادية القطبية التماثلية .

---

(١) راجع في هذا الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية د. أحمد أنور ص (٢٧٥) وما بعدها مرجع سابق ، وقضايا علم الاجتماع : دراسة سوفيتية نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي ج. أوسيبوف ، ترجمة سمير نعيم أحمد وفرج أحمد فرج ص (١٣٢) وما بعدها ، دار المعارف ١٩٧٠م .

ثالثا : نقد الأساس الثالث : الثقافة الإسلامية عدائية وجامدة :

من الأسس التي أقام عليها هنتنجتون نظريته " صدام الحضارات" زعمه في الثقافة الإسلامية ما يلي :

١ – الثقافة الإسلامية عدائية .

٢ – الثقافة الإسلامية غير ديمقراطية .

٣ – الثقافة الإسلامية جامدة .

وفيما يلي ننقد هذه المبادئ الثلاثة التي أسس عليها هنتنجتون هذا الأساس في صياغة نظريته تلك .

أولاً : نقد زعم هنتنجتون عدائية الثقافة الإسلامية :

إن زعم هنتنجتون عدائية الثقافة الإسلامية ناشئ عن قلة التتبع ولا يعدو كونه موروثاً غربياً وحكماً مسبقاً لا ينهض دليل على تأييده شأنه في ذلك شأن بعض الكُتَّاب والمفكرين الغربيين في تناولهم قضايا الإسلام بالدراسة أو النقد . والإسلام في نظر هؤلاء إرهاب يحث على القتل وإراقة الدماء ، ويحتم الصدام مع الآخر ، إنه إرث قديم لم يستطع هنتنجتون التخلص من تبعاته البغيضة ، بل أراد صياغته وبلورته في إطار نظرية يرى أنها مسلمة الثبوت ، ويحاول فرضها على السياسة العالمية مركزاً على خطورة الثقافة الإسلامية على السلم الدولي !!

وفي ضوء إشكالية منهج هنتنجتون في الخلط بين المصطلحات فإنه يقصد بالثقافة الإسلامية الإسلام ذاته إذ أنه يطلق على الثقافة مصطلح الدين والعكس ، ويحكم على الإسلام من خلال ممارسات الأتباع [١] ، والثقافة الإسلامية وممارسات الأتباع تحكم بالإسلام وليس العكس ، لأنها عرضة للصحة والخطأ ، لأنها حركة عقلية وعملية سلوكية ، والعمليات العقلية لا يحكم عليها بالصحة المطلقة ولا بالخطأ المطلق .

وممارسات الأتباع وإن كانت اصطلاحية تهدف إلى إعادة الإسلام إلى الحياة بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فهي محكومة بضوابط الإسلام وإصدار الأحكام بشأنها مرتبط بمدى قربها أو بعدها من هذه الضوابط ، فالإسلام ليس متمثلاً في الثورة الخمينية ، كما أنه ليس متمثلاً في الإصلاحات المتشددة على عكس ما يرى هنتنجتون ، وإنما يتمثل في خط الوسط المتجرد من الإفراط والتفريط .

إن الإسلام يُحكَم بنصوصه ومصادره ، وليس باجتهادات المجتهدين ، لأنها عرضة للصواب والخطأ ، وهي دائرة في فلك النص والنص لا يحكم بما يدور في فلكه ، وإنما يكون حاكماً له .

---

[١] راجع : صدام الحضارات لهنتنجتون ص (٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢) .

الخطاب الإنساني في الإسلام :

مهما يكن من أمر فإن الخطاب الإسلامي بجوانبه الإنسانية وقيمه النبيلة ومبادئه السمحة لم يكن مقصوراً على العرب أو المسلمين فقط ، وإنما كان خطاباً عاماً للإنسانية كلها بمختلف جنسياتها واتجاهاتها وأيديولوجياتها وطوائفها .. خطاباً موجهاً إلى الإنسان كإنسان .. إلى بني آدم قاطبة .. إلى الناس جميعاً .. خطاباً يؤكد على الروابط بين الشعوب ويذكر بالأصل المشترك ويدعوهم إلى السلام مع النفس والسلام مع الآخر ، والذي لا يمكن أن يتم إلا بالاعتقاد الصحيح ، واحترام الآخر وتقدير إنسانيته والثورة على كل الطواغيت وقيم الشر التي تحول دون تحقيق العدالة والمساواة ، والتي ترسخ من العداوة والكراهية بين الناس جميعاً .

وتأمل معي هذه الآيات الكريمة :

١ - **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾** [١] .

٢- **﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها**

---

[١] سورة النساء : (١) .

فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ (١) .

٣ - ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (٢) .

تأملات في الآيات الكريمة :

١ - عندما نتأمل هذه الآيات الكريمة نجد أنها تقرر القواسم المشتركة بين البشر من حيث الأصل الإنساني العام ، وقيم الحفاظ على الحياة ، وتحقيق الأمن الاجتماعي والسلم العاطفي ، والتعريف بقيم التعارف الإنساني الذي من شأنه إعلاء القيم والحفاظ على المبادئ والمثل والبحث عن الحقيقة ، وإعلاء قيم العدالة والمساواة ومحاربة الظلم والشر والفساد ، وإقامة الاعتقاد الصحيح ، وتقويم السلوك الإنساني والقضاء على كل صور التمييز الذي لا ينتج عنه إلا بخس الناس حقوقهم ، وسلبهم حرياتهم ، ومحاربة الأنانية وتوجيه الناس إلى التعايش السلمي وعمارة الأرض ، وتحقيق مبادئ الوفاق التي تمكنهم من تحقيق مصالحهم ، والنهي عن كل صور الاعتداء على الآخر ، وبيان أن الاعتداء على النفس الواحدة اعتداء على البشرية كلها ، وأن الحفاظ على حياتها حفاظ على حياة البشرية كلها ، وهذا يستتبع احترام حق الآخر في الانتفـــاع والحفاظ على مقدراته ، وعدم سلب ثرواته .

---

(١) سورة المائدة : (٣٢) .

(٢) سورة الحجرات : (١٣) .

٢ – وقد اشتمل التشريع الإسلامي على قواعد كلية من شأنها ضبط علاقات الأفراد دون تمييز ديني أو عرقي منها قاعدة(لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) [١] ، وقاعدة (الضرر يزال) وتسقط هذه القواعد – بوجه عام – أي قيد للتمييز بين البشر ، فالنهي عن إيقاع الضرر بالغير جاء مطلقاً يشمل الآخر بكل انتماءاته بقطع النظر عن أيديولوجياته ومعتقداته ، وأياً ما كان ، وفي أي بقعة على وجه الأرض كما أوجبت قاعدة " الضرر يزال " ضرورة إزالة الضرر الواقع على الآخر ، وإن لم يزله الأفراد انتقل الوجوب إلى السلطات احتراماً لآدمية الإنسان ، أضف إلى ذلك قاعدة " من أتلف شيئاً فعليه ضمانه" وهذه وتلك قيم تحفظ النفس والمال ، وتنهي عن الإفساد في الأرض، وتفويت المنافع على الخلق ، والاستئثار بها بدافع من الأنانية وحب الذات .. إنها إذن تفسح دائرة التعارف والتعايش مع الآخر .

٣ – **الإسلام والتعددية** : إذا تأملنا ما سبق نجد أن مصادر التشريع الإسلامي قد اشتملت فكرة التعددية ، والتعددية وإن كانت مصطلحاً غربياً جديداً لم تعرفه العلوم الإسلامية ، فإنه يقابله مصطلح " غير المسلمين " وقد عنى التراث الإسلامي بدراسة هذا المصطلح في إطار الضوابط الشرعية في كثير من علومه كعلم الفقه والتفسير والسير والتاريخ ، وغير ذلك من العلوم في إطار التنوع والتباين

---

[١] مسند الإمام أحمد (١ / ٢١٣) .

والاختلاف كسنة من سنن الله في الكون ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقكم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ (١) .

ورغم حداثة المصطلح " التعددية " (فلا يمكن لعاقل – في ضوء ما سبق – أن يدعي أن الإسلام ليس له تصور لمسألة التنوع والتباين والاختلاف ، بل من يراجع القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب الأقدمين والمعاصرين بجدها ملأى بالحديث عن كثير من المبادئ والقيم والتوجيهات الخاصة بذلك ، ويقوم التاريخ الإسلامي شاهداً على تنزيل هذه المبادئ والقيم إلى واقع ملموس ، إذ ضم العالم الإسلامي في أراضيه على امتدادها وفساحتها ، كماً هائلاً من الجنسيات والأعراف واللغات والمذاهب والآراء والمعتقدات والأديان ، وتفاعلت فيما بينها وتلاحقت وتجاورت وتجادلت ، وشاركت كلها في صنع الحضارة الإسلامية في علومها وفنونها ونظمها ومؤسساتها المختلفة ، وإن ظهرت فيما بينها نزاعات وصراعات وحروب فهي استثناء لا أصل) (٢) .

---

(١) سورة هود : (١١٨) .

(٢) مقالة للدكتور / بسطامي محمد سعيد ، خبر بمجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي السنة (٢٠) العدد (٢١٦) شعبان ١٤٢٦هـ / أكتوبر ٢٠٠٥م بعنوان : رؤية إسلامية لمشكلة التعددية ص (٩) بتصرف يسير، وراجع الإسلام وقضايا الحوار: د . محمود حمدي زقزوق ص (٢٨٠) مرجع سابق .

هذا إذا ما عُني بمصطلح " التعددية " التعايش السلمي ، والنظم الاجتماعية التي تحتوي المجتمع بأشكاله وأطيافه وإثنياته وعرقياته ، أما إذا ما عني بها ذلك ، لكن على أسس علمانية تقصي الدين عن نظم الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، كما هو المقصود بها في الفلسفات الغربية التي لم يجد الغرب بداً لحل خلافاته ومشاكله من ذلك ، حينما تقاصر عن استيعاب التنوع والتباين الإنساني في ضوء الاتجاهات والأطياف والطوائف الدينية (١) ، وإذا ما عني بها تعدد الحق بمعنى تصويب آراء كل المخالفين على أساس أن كلاً منهم يرى الحق من وجهة نظره أو طبقاً لفلسفته وأيديولوجياته (٢) ، فهذا ما نرفضه ، لأن ذلك يعني تعددية مفاهيم الحق والخير والشر ، وتفاوت مفاهيم القيم على ضوء إقرار المتناقضات ، والحق والخير لا يتعددان .

ولأن الإسلام كدين ليس قاصراً عن استيعاب ذلك ، بل إنه يؤسس لحياة بشرية كريمة يسودها التراحم بين أبناء الجنس البشري، والتاريخ الإسلامي يشهد بهذه الاندماجية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية .

٤ – أما مقياس التفاضل عند الله تعالى فهو الدين والتقوى

---

(١) راجع مقال : رؤية إسلامية لمشكلة التعددية د. بسطامي محمد سعيد ، خبر بمجلة البيان ص(٩) مرجع سابق .

(٢) راجع نفس المرجع .

والعمل الصالح ، وقد أقر القرآن الكريم هذا بعد تذكير الناس جميعاً بالأخوة الإنسانية ، قال تعالى ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (١) .

والإسلام لم يجبر أحداً على اعتناقه ، وإنما أقر مبدأ الاختيار وحرية الاعتقاد مع تحميل الإنسان مسؤولية ذلك . قال تعالى ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً** ﴾ (٣) ، وقال تعالى ﴿ **فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ...** ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ **نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكِّر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ (٥) وقال تعالى ﴿ **فذكِّر إنما أنت مذكِّر . لست عليهم بمسيطر . إلا من تولى وكفر . فيعذبه الله العذاب الأكبر . إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم** ﴾ (٦) .

فالله تعالى هو المتفضل على الإنسان بالدين وهو تعالى المتفضل عليه بنعمة الاختيار الذي لا معنى للتكليف إلا به ، ولا تكليف

---

(١) سورة

(٢) سورة يونس : (٩٩) .

(٣) سورة الكهف : (٢٩) .

(٤) سورة الشورى : (٤٧) .

(٥) سورة ق : (٤٥) .

(٦) سورة الغاشية : (٢١ – ٢٦) .

مع إجبار [١] .

أما سائر البشر فهم في الخلق سواء ، وفي الانتفاع بثمرات الأرض والانتفاع بسنن الله تعالى الكونية والتنعم بخيراته تعالى سواء وهم في المواطنة سواء ، والدين والاعتقاد يتولى الله تعالى حساب الناس عليه .

٥ – أما تشريع الجهاد في الإسلام فكان دفاعاً عن الدين والبلاد إذا ما تعرض أحدهما للاعتداء ، وليس لفرض الإسلام بقوة السيف ، وإرغام غير المسلمين على اعتناقه .. والجهاد بهذا المفهوم حالة استثنائية وإن كان واجباً وليس أصلاً للحياة ، إنما الأصل هو السلام والأمن .. قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ [٢] ، جاءت هذه الآية بعد النهي عن النفاق والإفساد في الأرض وترويع الآمنين .

(فالإسلام دين سلام ، يؤثر السلم على الحرب ما كان في الطاقة إيثار ، فإذا لم يكن بد من الحرب فللإبقاء على العقيدة أو على الحياة فالحرب شر لا مندوحة عنه) [٣] .

---

[١] راجع : روح المعاني للإمام الألوسي (٢٦٦/١٥/٨) دار الفكر بدون تاريخ ، ومفاتيح الغيب للإمام الرازي (١٠/ ٣٠٠) دار الغد العربي بدون تاريخ .

[٢] سورة البقرة : (٢٠٨) .

[٣] سماحة الإسلام د. أحمد الحوفي ص(١٩٣) دار نهضة مصر للطبع والنشر. ثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، وراجع المسلمون والعولمة د. يوسف القرضاوي ص (١١٦) =

وعلى المسلم قبل البدء بالقتال أن يستنفد كل الوسائل السلمية من الحوار والإقناع والوساطة الدبلوماسية والتفاعل من أجل حل المشكلات مع المعتدي ، فإن أدى ذلك إلى السلم فقد كفى الله المؤمنين القتال ، قال الله تعالى ﴿ **وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** ﴾ [١] ، وقال الرسول ﷺ : (دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم) [٢] .

أما إذا فشلت هذه الجهود من قبل الآخر في حل هذه المشكلات فلا مناص من الحرب .

على أن هناك آداباً عامة للقتال تؤكد تأصيل الإسلام للقيم الإنسانية النبيلة ، ومنها مسالمة المسالمين الذي لا يحملون السيف ، ولا ينضمون مع المحاربين ، ومن هذه الآداب النهي عن قتال النساء والأطفال والشيوخ ، فقد قال الرسول ﷺ : (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى بركة رسول الله ، لا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا طفلاً ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) [٣] .

= دار الأمـــل ط (١) ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، والإسلام لعصرنا د. جعفر شيخ إدريس ، ص (١٤) كتاب المنتدى . الرياض ط (١) ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

[١] سورة الأنفال : (٦١) .

[٢] رواه أبو داود . وحسنه في صحيح الجامع الصغير (٣٣٨٤) .

[٣] نيل الأوطار: الإمام الشوكاني (٧ / ٢٤٦) دار التراث ، بدون تاريخ .

كما نهى عن قتل الرهبان المنقطعين للعبادة ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي ﷺ إذا بعث جيوشه قال (لا تقتلوا أصحاب الصوامع) [١] .

ونهى الإسلام عن قتل العمال والفلاحين وغيرهم من المدنيين الذين لا علاقة لهم بالقتال لقول الرسول ﷺ لرباح بن الربيع " قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيفاً " والعسيف هو الأجير. كما أمر الإسلام بالابتعاد عن التخريب المتعمد للثروات الزراعية والحيوانية ونحوها لقول أبي بكر الصديق ﷺ ليزيد بن أبي سفيان : " وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ، ولا صبياً ، ولا كبيراً هرماً ، ولا تقطعن شجراً مثمراً ، ولا نخلاً ، ولا تحرقنها ، ولا تخربن عامراً ، ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ، ولا تجبن ولا تغل ") [٢] .

هذه آداب وضوابط القتال في الإسلام فهلا تخلق بها الآخرون !!

٦ – لا ريب أن الدفاع عن النفس والعرض والدين والأرض والمال مطلب فطري تقره الفطر السليمة والعقول السوية ، والتفكير الواعي المسؤول ، وهذا أمر أقرته المواثيق الدولية والأعراف الإنسانية والشرائع الإلهية ، فالشر لابد أن يواجه وتستأصل قيمـــــه

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن ابن عباس (٥ / ٩) ح رقم ٢٦٥٠ ، ط ١ ، المأمون للتراث دمشق ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

(٢) مقال د . عصام البشير بعنوان دين الرحمة ضمن كتاب صراع الحضارات إعداد خالد عرابي ص (٣١) مرجع سابق .

الشريرة ومبادئه الفاسدة إذا ما شكل خطراً يهدد المجتمع الإنساني ، ويقوض بنيانه . على أن يكون الدين الحق والمبادئ الإنسانية الصادقة معياراً للقيم ، وليس النفعية والمصلحة ، وسياسات الأهواء .

أما مطالبة المعتدى عليه بالاستسلام للمعتدي فيتنافى مع حق الإنسان الفطري والإنساني في الدفاع عن النفس وتقرير المصير ، وهو بمثابة مطالبة الضحية بالمثول للجلاد دون تأوه أو تأفف ، بل وإظهار علامات الرضا عما يوقعه به من أذى ، وبابتسامة عريضة على وجنات مشرقة !!!

وهذا يمثل نزوعاً عن السياسات الحكيمة ومبادئ السلام الإنساني كثيراً ما مارسته القوى الكبرى في العالم ضد الدول الضعيفة والشعوب المقهورة باتباع سياسات الحصار والتجويع والتهديد والإغارة وتخول هذه السياسات لتلك الدول حق الاعتداء على الآخر باتهامات باطلة بأنهم أشرار ، لا لشيء إلا لأن مصالحهم تصطدم بمصالحها ، والواجب على هذه الشعوب – طبقاً لهذا المعيار– ليس فقط الاستسلام لهذه المعايير المجحفة ، وإنما الترحيب بها في الأوساط الدولية !!! وأصبح المجني عليه هو المروج لسياسات الجاني !!

٧ – نحن لسنا بإزاء التنظير لمدينة فاضلة مثالية خالية من الكراهية والبغضاء والشر والصراع والاختلاف والتناقض ، لأنه تصور غير واقعي ، فالاختلاف والتناقض والصراع والشر كل هذا كائـــن

في دنيا الناس ، لكن كينونته ليست حتمية ، وليس هو بالمعضلة التي لا يمكن حلها ، ووجوده ناشئ عن خطأ ، بل انحراف في الممارسات الإنسانية ، وليس عن أصالة فطرية .

ومن الممكن أن يتفق العقلاء في العالم على القضاء على هذه الانحرافات وترسيخ قيم التعايش السلمي بين البشر .

٨ – أضف إلى ذلك أن الإسلام قد تعامل بواقعية مع هذه المشكلات التي تؤرق المجتمع وتقضي على التعاون والتعايش السلمي تقريراً منه لمبدأ السلام والأمن الاجتماعي (١) ، وذلك من خلال عقد الرسول ﷺ المعاهدات مع المشركين وهم البادئون بالقتال فيما يعرف بوثيقة " صلح الحديبية " بما فيها من شروط جائرة وظالمة للمسلمين، وكذا من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والقضاء على الفتنة بين الأوس والخزرج ، ومعاهداته مع اليهود بالمدينة (٢) وبهذا قضى على التوتر الدائم والصراع الذي كان يزكي أوار الحرب ، ويلهب القتال في المدينة ، فأوقف نزيف الدم وإزهاق الأرواح ، وقضى على عوامل الإفساد فيها ، وأقر السلام بها لأول وهلة وطأت فيها المدينة قدماه الشريفتان ﷺ ، على عكس ما كان يفعل الأكاسرة والقياصرة ، والإمبراطوريات والقوى العظمى آنذاك ، وما حفل به تاريخها من

---

(١) راجع الإسلام وقضايا الحوار د. زقزوق ص (١٥٤) مرجع سابق .

(٢) غير أنهم نقضوا العهد وتآمروا مع أعدائه للقضاء على رسالته وعلى المسلمين ، فقاتلهم ﷺ .

إفساد وإهلاك وقتل وتدمير ومصادرة للحريات ونهب للثروات ... وأرسل الكتب إلى الملوك والأمراء ليدعوهم إلى الإسلام بعقيدته الصافية وشريعته السمحة التي جمعت عقائد الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام ، وأكدت على أصول شرائعهم قبل تحريفها .

أو بعد كل هذا توصف الثقافة الإسلامية بأنها عدوانية وتؤصل للكراهية والبغضاء بين الشعوب ، وهي التي قضت على كل صور الاعتداء ، وأقرت ليس فقط حقوق الإنسان ، وإنما الرفق بالحيوان ؟!! لقد بدل الإسلام خوف الناس أمناً ، وحدودهم الدامية سلماً ، والصراع تعاوناً ، والاختلاف تعايشاً سلمياً يزكي القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية النبيلة والتي أرساها الوحي الإلهي ، أما ثقافة الصراع والصدام فمن شأنها تعميق الخلاف ، وتأصيل الكراهية والعدوان للآخر ، والحيلولة دون التعاون والتعايش من أجل الصالح الإنساني العام .

أما ما أشار إليه هنتنجتون من أن الثقافة الإسلامية تقسم العالم إلى " دار سلم و" دار حرب " فأرى أنه لم يكن إلا تقسيماً أثناء الحروب فقط ، وليس تقسيماً عاماً ، فالإسلام لا يعادي الإنسان لأنه إنسان ، وإنما يكره نزوعه إلى الكفر والإلحاد والشرك والوثنية ، وفرق بين هذا وذاك . وهذا التقسيم تقتضيه ظروف القتال ، وهو استثناء لا أصل ، لأن الحرب ليس أساساً في التشريع الإسلامي ، وإنما استثناء تقتضيه الظروف ، كما أشرنا إلى ذلك سلفاً .

الإسلام بين هنتنجتون وبيدهام :

إذا كان هنتنجتون يرى في الإسلام خصماً قوياً للغرب على خطوط الصدع الدموية ، فإن ثمة مفكرين غربيين ومن بينهم بيدهام يرون أن الإسلام ليس بهذه الصورة التي يصوره بها هنتنجتون ، (ويوضح أمراً بالغ الأهمية للغرب والإسلام ، وهو داخل في إطار أن الشيء يكتمل بنقيضه .. لذلك ليس ثمة داع لأن يسود عليه ، أو يرضخ له ، ويبدو موقفه هذا من خلال تأكيده على قدرة تحالف وتآلف الإسلام مع الغرب على حل مشكلات مثل مشكلة إفريقية .. وقيمة هذه الفكرة تكمن أيضاً في أن التحالف والتآلف سيكون لخير الإنسانية جمعاء .. ولا شك أن بيدهام ينحو منحى إنسانياً وينطلق بوعي في بحثه ، وذلك من خلال تحميله الغرب مسؤولية تحقيق حسن الجوار مع الإسلام ، لأنه الأكثر تقدماً وتحضراً ، أو بمعنى آخر لأنه يملك زمام إبداء حسن النوايا) [١] .

وهذه المفارقة بين هنتنجتون وبيدهام تدل على أن الثاني يعتمد في تحليلاته على المنطق والواقع ، ويتفهم إمكانات التلاقي بين الإسلام والغرب حول المبادئ الإنسانية والتعايش المشترك في حين تجاهل ذلك الأول .

---

[١] الإسلام والغرب والديمقراطية لبريان بيدهام . جودت سعيد وعبد الواحد علواني ، ص (٤٤ ، ٤٥) مع الوضع في الاعتبار أن هناك انتقادات كثيرة وجهت لبيدهام في قضايا أخرى متعلقة بالإسلام .

ثانياً : نقد زعم هنتنجتون بأن الثقافة الإسلامية غير ديمقراطية :

١ – إذا كان يقصد بالديمقراطية حفظ الحقوق ، والتعبير عن الحريات ، وإشراك الشعوب في اختيار رؤسائها ونوابها وممثليها ، فإن الإسلام قد كفل كل هذا في تشريع الشورى كأساس لنظام الحكم في الإسلام [١] ، فقد تمتع المسلمون وغير المسلمين في ظل قضية الشورى بما لم تنعم به شعوب أخرى رزحت ردحاً من الزمن في القديم والحديث تحت سطوة السيطرة والتسلط والاستبداد والاحتلال الذي سلبت في ظله حريات الشعوب وحقهم في تقرير المصير ، وبناء دولهم بناء ذاتياً حضارياً ، وسلبت في ظله خيراتها ومقدراتها ومواردها ولم يكن للمعترض إلا السجن أو القتل !!

فالديمقراطية بهذا المعنى النبيل لا تصطدم بالشورى في الإسلام بل تعتبر تطبيقاً لها ، وتفاعلاً معها ، وتبين أن العقل السليم ينسجم مع الإسلام ويتفاعل مع مبادئه وكلياته .

٢ – أما إذا كان المقصود بالديمقراطية : فصل الدين عـــن

---

[١] راجـــع في هذا : من هدي الإسلام فتاوى معاصرة . د . القرضاوي (٢ / ٦٤٣) دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٤هـــ / ١٩٩٣م . والحرية السياسية في الإسلام : د . أحمد شوقي الفنجـــري ص (٣٥) ومـــا بعدها دار القلم ١٣٩٣هـــ / ١٩٧٣م . والسنة النبوية بين أهل الفقـــه وأهل الحديث الشيخ محمد الغزالي ص (١٣٦) دار الشروق ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٩م . ونقـــض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية د. محمد علي مفتي ص (١٣) كتاب المنتدى ، ط (١) ١٤٢٣هـــ / ٢٠٠٢م .

الحياة ، أو فصل الدين عن السياسة ، أو فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، أو فصل الدين عن العلم من خلال تأسيس نظريات المعرفة على أسس مادية تغذيها نظريات المتعة والإباحية والوجودية وإذا ما كانت الديمقراطية تعني حق الإنسان والمجتمع في اختيار أيديولوجيات مناقضة للدين تعزل الوحي عن الممارسات الحياتية ، وإذا ما كانت تجعل الإنسان مسؤولاً عن الرقي القيمي ، وتأسيس نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية ونظريات فكرية تنأى به عن جوهرية الدين وأهميته في تقويم الاعتقاد والسلوك وحفظ النظام العام وتحقيق الأمن الاجتماعي ، وإذا ما كانت تعني بالحريات الثورة على القيم والمبادئ والأخلاقيات باسم الحرية الشخصية وفق مبدأ (كل يعيش حياته كما يحلو له) أو (الإنسان حر في التعبير عن ذاته وقيمه) وتغييب القيم الدينية والأخلاقية .. إذا كانت الديمقراطية تعني كل ذلك أو شيئاً منه . وهذا ما يقصده هنتنجتون إذ يرى أن العلمانية هي التي أسهمت في تطور الحرية في الغرب بخلاف الدول الإسلامية – بالإضافة إلى الصين واليابان –)[١] ، فإنها بالتأكيد ، وطبقاً للتصور الإسلامي تصطدم بأصول الإسلام الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتي أراد من خلالها تحقيق رقي إيماني وسلوكي وقيمي حقيقي للإنسانية يفعّل من بناء الذات وتقويم السلوك والممارسات ، وتقديـــر

---

[١] صدام الحضارات لهنتنجتون ص (١٠٨ ، ١٥٠) .

حقوق الآخر في ممارسة حقه في التعايش السلمي في ضوء تقرير مبدأ الأصل الإنساني المشترك كأساس لاحتواء التباين والتنوع والاختلاف بين البشر .

٣ – هذا ولم تكن الشورى نتاجاً فكرياً إسلامياً ، وإنما كانت قضية تشريعية نصية وعملية .. شرعها القرآن الكريم وطبقها الرسول عليه الصلاة والسلام واتبعها المسلمون في عصور الخلافة الراشدة في اختيار خلفاءهم بعد الرسول ﷺ ، ولأهمية الشورى في التشريع الإسلامي سميت بها إحدى سور القرآن الكريم " سورة الشورى " ، ووصف بها صحابة الرسول ﷺ .

قال الله تعالى : **﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾** [١] ، **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾** [٢] .

وطبق الرسول ﷺ ذلك في عدة أمور منها :

أ – كيفية الإعلان عن الصلاة .

ب – موقع غزوة بدر وقضية الأسرى فيها .

---

[١] سورة الشورى : (٣٨) .

[٢] سورة آل عمران : (١٥٩) .

ج – موقعة الخندق ، وغير ذلك (فقد التزم الرسول ﷺ مع أصحابه التشاور في كل أمر يحتمل المشاورة والبحث) [١] .

ووفق مبدأ الشورى تم تعيين الخلفاء الأربعة رضوان الله تعالى عليهم .. أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي [٢] .

٤ – كان تشريع الشورى في الإسلام تشريعاً كلياً لا تفصيلياً ولعل ذلك لحكمة تشريعية تتمثل في عدم التضييق على الناس بالتفصيلات الملزمة ، وحتى يستوعب التشريع الإسلامي المتغيرات والمستجدات والاقتراحات وطرائق تفعيل قضية الشورى في مستقبل الأمة ، والإسلام بذلك يحث على التفكير الجاد ، ويعلي من قيمة التصور المنضبط لإمكانات وآليات التطبيق على أرض الواقع .

ولا يمنع الإسلام الاستفادة من تجارب الآخرين في تفعيل آليات الشورى طالما كانت منضبطة بضوابطه منسجمة مع أصوله التشريعية ومبادئه الأخلاقية مثل المجالس النيابية متمثلة في مجلس الشعب والشورى ، والنقابات العمالية ، ومؤسسات المجتمع المدني ولجان حقوق الإنسان ، ولجان الرفق بالحيوان ، وحماية البيئة ، ومناصـــرة

---

[١] فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة : د . محمد سعيد البوطي ص (١٧٧) دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ط (١١) ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

[٢] راجع السياسة الشرعية لابن تيمية ص (٢٦) مرجع سابق ، والخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ شخصيته وعصره . د . علي محمد الصلابي ص (١٢٤، ١٢٨) دار المعرفة بيروت لبنان ط (٣) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

حقوق الأقليات في العيش الكريم والتفاعل الإنساني .

وقد أثنى الرسول ﷺ على حلف الفضول الذي أسسه عقلاء قريش في الجاهلية لنصرة المظلوم والدفاع عن الحقوق .. وقال ﷺ : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب لي به من حمر النعم ولو دعيت له في الإسلام لأجبت) [١] ، وفي هذا دليل على ما ذهبنا إليه طالما يتفق مع روح الشريعة ويحقق مصالح الأمة لكن الذي يمنعه الإسلام هو الذوبان في ثقافة الآخر ، وفقدان الذات والهوية والخضوع والاستسلام والارتماء في أحضان التيارات الوافدة لأن في ذلك تضييع للإسلام وقيمه ومبادئه ، وتقويض لبنيان الأمة .

والأمة الإسلامية مطالبة في ضوء قضية الشورى بالتفاعل البناء من أجل الصالح الإنساني العام ومن أجل صالح الأمة ، سواء أكان هذا التفاعل ذاتياً أم كان تفاعلاً مع الآخر . فللأمة خصوصيتها لكن ذلك لا يمنعها من المشاركة في التفاعل الحضاري الذي يعلي من شأن القيم والمبادئ والحريات والأمن والسلم [٢] .

٥ – أضف إلى ذلك أن ديمقراطية الغرب هي ديمقراطية المصالح وليست ديمقراطية القيم – على الأقل – في الممارسات

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام (١ / ١٣٤) . والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث د/ محمد علي الصلابي ص (٦٠) دار المعارف بيروت لبنان ط ٣ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[٢] راجع البعد الحضاري لهجرة الكفاءات . د .عبد المجيد النجار وآخران ص (٢٢، ٢٣) كتاب الأمة . الأوقاف القطرية . العدد ٨٩ جمادي الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

السياسية مع الآخر .. ديمقراطية تقليص انتشار المعلومات والتقنيات التكنولوجية إلى الآخر . وهذا ما يبدو من قول هنتنجتون : (إن البيانات الإجمالية حول الإنتاج الاقتصادي تحتم جزئياً التفوق الكيفي للغرب ، الغرب واليابان تقريباً بشكل كلي تهيمنان على الصناعات التكنولوجية المتقدمة ، التقنيات آخذة في التسرب والانتشار ، ومع ذلك فإن أراد الغرب المحافظة على تفوقه عليه عمل ما يستطيع لتقليل ذلك التسرب) [١] ، مع أن الغرب يستفيد بعلماء مسلمين في ميادين مختلفة من مجالات المعرفة حيث (يعمل ٤١٠٢ عالم إسلامي في مؤسسات ومراكز أبحاث غربية) [٢] !!

إنها ديمقراطية تغزو الشعوب باسم التحرير .. تستفيد من ثروات الآخرين لكن لا تفيدهم بقدر ما تستفيد منهم .. ديمقراطية الاستهلاك لا ديمقراطية التنمية والبناء .. ديمقراطية الاستضعاف لا ديمقراطية التفوق وصنع الذات .. ديمقراطية فرض الحصار الاقتصادي وتجويع الشعوب لا ديمقراطية الانفتاح على الآخر والتعاون معه !! ديمقراطية تحقق مصلحة الأنا لا مصلحة الآخر!!

إننا ندعو العالم إلى ديمقراطية حقيقية [٣] تحمي الحقـــوق ،

---

(١) صدام الحضارات لهنتنجتون ص (١٧٧) .

(٢) المـــرجع الســـابق ص (٣١) مع ما يمثله هذا العدد من عبء كبير على الاقتصاديات الإسلامية .

(٣) إذا مـــا أردنـــا بالديمقراطية حفظ الحريات والحقوق وليس النزوع العلماني كما أشرنا إليه آنفاً على ألا تكون بديلة عن الشورى .

وتعمل على تحقيق المصالح المتبادلة بين البشر في إطار التعاون البناء وليس الأنانية والنفعية ، وستكون الديمقراطية بذلك فكرة نبيلة في إطارها الإنساني.. فكرة تجمِّع لا تفرق .. فكرة متعاونين لا فرقاء .. مترابطين لا أعداء ، وهذا ما يتوافق وجوهر الثقافة الإسلامية .

(ومن الخير أن نقر بأن لكل حضارة خصوصيتها ، وأن نبقي على خير ما فيها ، وأن نقتبس من إيجابياتها ، ونتجنب سلبياتها ، وألا نقهر أمة على التخلي عن حضارتها ، والانقطاع عن جذورها ، ما لم تتحول هي من حضارة إلى أخرى باختيارها الحر ، وإرادتها المستقلة كما رأينا إيران قديماً – بعد الإسلام – تنتقل بكل حريتها من الحضارة الفارسية إلى الحضارة الإسلامية ، وكما رأينا مصر كذلك تنتقل من الحضارة الفرعونية والرومانية طائعة مختارة إلى الحضارة العربية الإسلامية ، وكذلك شمال إفريقيا انتقل من الحضارة البربرية إلى الحضارة الإسلامية) [١] .

لاسيما إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الإسلام لم يأت للثورة على كل ما هو صالح ، وإنما يبقي عليه ويهذبه ويستوعبه في إطار مبادئه العامة وقواعده الكلية طالما يحقق مصالح البشرية ، ويهذب قيمه ومبادئه .. إنما ثورته تكون على كل ما هو فاسد أو ما من شأنه إفساد الحياة وإهلاك النفس والمجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة .

---

[١] المسلمون والعولمة د. يوسف القرضاوي ص (١١٤) .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [١] .

(وإذا كنا نؤمن بأننا على الحق وغيرنا على الباطل ، شأن المؤمنين في كل الأديان ، فلسنا مكلفين أن نحاسب الناس على ذلك في هذه الدنيا ، بل حسابهم على الله تعالى في الآخرة ، كما قال تعالى :﴿ **وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون** ﴾ [٢] ﴿ **الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير** ﴾ [٣]) [٤] .

فالحوار لا يعني تلاشي الحدود والفواصل الثقافية بمعنى أنه لا يفترض ضرورة أو حتمية الذوبان الثقافي ، وجعلهما أساساً لإنجاح الحوار وتحقيق أهدافه ، وإنما يعني البحث عن القواسم المشتركة ، وإزكاء قيم العدل والتعاون البناء بين الدول ، فلكل أمة خصوصيتها الدينية والثقافية والأيديولوجية [٥] على أن يبقي الحوار في نطـــــاق

---

[١] سورة النحل : (١٢٥) .

[٢] سورة الحج : (٦٨ ، ٦٩) .

[٣] سورة الشورى : (١٥) .

[٤] المسلمون والعولمة د. القرضاوي ص (١٢١) .

[٥] راجع من أجل استراتيجية حضارية د. أنور عبد الملك ص (١٤٨) مرجع سابق . ومقدمة د. عمر عبيد حسنة لكتاب ضوابط فهم النص د . عبد الكريم حامدي ص (٢٨) كتاب الأمة . الأوقاف القطرية العدد : ١٠٨ سنة ٢٥ رجب ١٤٢٦هـ / سبتمبر ٢٠٠٥م.

الأديان وميادين الدعوة قائماً على الإقناع والاقتناع من خلال إقامة الحجج والبراهين التي تقنع العقل وتهدي الإنسان إلى الحق والخير .

ثالثاً : نقد زعم هنتنجتون بأن الثقافة الإسلامية جامدة :

من الأسس التي بنى عليها هنتنجتون نظريته " صدام الحضارات" أن الثقافة الإسلامية إلى جانب كونها ثقافة كراهية وعدوان ، وغير ديمقراطية فهي – كما يزعم – ثقافة جامدة غير متطورة !!

وهذا الزعم باطل نظرياً وعملياً .. إذ إن من خصائص الإسلام كدين عالمي يخاطب الأجناس البشرية أنه يتسم بخصيصة الشمول والمرونة والتطور ، لأنه خاتم الأديان الإلهية ، ولأن رسالته خاتمة الرسالات ، ومما يوضح هذا ما يلي :

١ – تضمن التشريع الإسلامي العديد من القضايا الكلية التي تؤكد مرونة الإسلام وتطوره وصلاحيته لكل زمان ومكان ، حيث تستوعب هذه القضايا كل المستجدات فيما لم يرد فيه نص من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وهذا يؤكد قدرة الإسلام على التفاعل مع الوقائع والأحداث تفاعلاً إيجابياً من حيث تقييم المجتهدين والفقهاء والعلماء هذه القضايا المستجدة في ضوء القواعد الأصولية التشريعية التي تضبط حركة الاجتهاد بما يتفق وروح التشريع الإسلامي ، وما ينسجم مع مقاصد الشريعة الغراء في إطار درء المفاسد وجلب المنافع

والمصالح المعتبرة (على ألا تقدم المصلحة الواقعية على النص في المعاملات ، كما ذهب إليه البعض حتى لا يؤدي ذلك إلى الانهزام الحضاري باسم التطوير والتجديد) [١] .

وهذا يستوعب التغيير (الذي يقره الدين كحقيقة واقعة ..ويتقدم مع الحياة يداً بيد ، ولا يواكبها فقط كتابع لها ، ووظيفته أن يميز بين تغيير سليم وآخر غير سليم ، وبين نزعة هدامة وأخرى بناءة ، ويجب أن يقدر الدين فيما إذا كان التحول نافعاً أو ضاراً بالبشرية أو باتباعه على الأقل ، وبينما يمشي الدين مع الحياة الدينماكية – الحركية – جنباً إلى جنب ، فإنه يعمل حارساً وحامياً لها من جهة أخرى) [٢]

٢ – يجب في هذا الإطار التمييز بين الثابت والمتغير ، فأصول الدين العقدية والتشريعية ثابتة لا يمكن أن يعتريها تغير ، أما المستجدات فهي تؤكد سمة المتغير الذي يجب التفاعل معه ، على أن الثابت يستوعب المتغير ، والمتغير يجب أن يستجيب للثابت ، وإلا حدث الانفصام بين الوحي الإلهي والاجتهاد ، مما يوقع العقل في أخطاء وأغلاط ، ما كان له أن يقع فيها في حراسة النص ، فالنـــص

---

(١) فقـــه الـــتدين فهماً وتنزيلاً . عبد الحميد النجار (١ / ١١٨) ط (١) رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية . قطر ، بدون تاريخ ، بتصرف شديد .

(٢) بحـــث بعـــنوان : إعـــداد الممارسين للاجتهاد الجماعي . د . محمد كمال إمام ، نشر بمجلـــة المســـلم المعاصر ، ص (٨٩) العدد (٨٣) السنة (٢١) شوال – ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٧هـــ / فبراير – مارس – إبريل ١٩٩٧م بتصرف يسير .

يضبط مدارك العقل ، ويقوي ملكات الإدراك ، وهذا قيد ضروري لأي منهج يستوعب المتغيرات والمستجدات ، وإلا تفلت الدين وضاع.

٣ – تفاعل القرآن الكريم والسنة الشريفة مع كثير من الحقائق العلمية التي تم اكتشافها في العصر الحديث من خلال اشتمال نصوصهما لإرشادات كلية تستوعب هذه الحقائق في ميادين العلم المختلفة .

هذا وقد حث القرآن الكريم العقل الإنساني على التفكر والتدبر والتأمل والنظر في خلق الكون .. في الأنفس والآفاق .. لاكتشاف القدرات الكامنة في النفس والتي زودها الله تعالى بها وتوظيفها لاستكناه أسرار الخلق الإلهي والوقوف على آياته وإعجازاته ، وفهم سنن الله تعالى الكونية التي أراد الله تعالى أن يريها خلقه على امتداد الزمن ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾ (١) .

وفهم هذه السنن الكونية إلى جانب كونه يُرسخ الاعتقاد ويُفيد اليقين ، فإنه يساعد الإنسان في التعامل مع هذه السنن لتحقيق مصالحه والاستفادة منه في عمارة الكون المسخر له ، مما يدفعه إلى الجد في اكتشاف مجاهيل ما كان له بها من قبل سابق عهد في سائر ميادين العلوم .

---

(١) سورة فصلت : (٥٣) .

ولما استخدم العقل الإنساني ملكاته في هذه السنن هداه الله تعالى إلى ما يحقق به مصالحه ، ويخفف عنه الجهد والعناء ، سواء في ذلك المؤمن والكافر ، ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، وليحمل ذلك الكافر على التفكير الجاد في قضية الإيمان بالله تعالى الخالق .

٤ – أما ما ذكره هنتنجتون من أن الإسلام لا يحتوي على شيء من التحول من المجتمع الزراعي إلى الصناعي ووسائل النقل والاتصالات ، فهذا يندرج تحت حديث الرسول ﷺ في مسألة تأبير النخل أي تلقيحه .. " أنتم أعلم بشؤون دنياكم " (١) ، وهذا يدعو الإنسان إلى التأمل في كيفية تدبير شؤون دنياه ، وهذه من القضايا الكلية التي تركها الإسلام لمستقبل الأمة ليكون التفكير فيها عامل نهضة وقوة وحضارة .

٥ – أما ما ذكره هنتنجتون من أن الإسلام لم يذكر شيئاً عن الرعاية الصحية فهذا ناشئ عن قلة التتبع ، ويبدو أن هنتنجتون لا يعرف شيئاً عن مؤلف الطب النبوي الذي يعرض هدي الرسول ﷺ في التداوي وصار حديثه في ذلك قاعدة عامة فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : سمعت النبي ﷺ إذا كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أوديتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي (١٥ / ٩٦) صحيح مسلم بشرح النووي ، ط ١ مكتبة الصفا ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

عسل أو لدعة بنار توافق الداء وما أُحبُّ أكتوي) [١]

وأياً ما كان فالقرآن الكريم كتاب هداية وعبادة وتشريع لا ينتظر منه التخطيط لكل تفصيلات الحياة وأنشطة الإنسان ، وإنما حسبه من ذلك ما أشار إليه من العديد من التفصيلات وترك القواعد الكلية لاستيعاب الآخر منها .

وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن الزراعة والصيد والصناعة وتحث الإنسان على الانتفاع بمرافق البيئة في إطار عدم الإضرار بها .

ولعلي بهذا أكون قد انتهيت من نقد نظرية صدام الحضارات من ناحية المنهج والمضمون .

والله تعالى من وراء القصد .

---

[١] صحيح البخاري ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد (٤ / ١٤) كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل ، مكتبة الإيمان ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

الخاتمة

بعد هذه الدراسة النقدية لنظرية" صدام الحضارات " لهنتنجتون نستخلص الآتي :

١ – وقع هنتنجتون في العديد من الأخطاء المنهجية أدت به إلى الخطأ في تقرير نظريته .

٢ – هناك العديد من الأخطاء العلمية الموضوعية وقع فيها هنتنجتون في بناء نظريته والتأسيس لها جعلها مفككة البنية تصطدم بالواقع أحياناً ، وتتجاهل وقائع الأحداث التاريخية أحياناً أخرى ، وهي في هذا وذاك تعتمد على التفسير الموجه للتاريخ ، مما يوضح تكلفه في تأصيل النظرية التي تحمل بين طياتها تهافتها .

٣ – التعايش السلمي والتعاون الفاعل بين البشر هو أساس للتشريع الإسلامي الذي يعمل بقوة على تحقيق السلام والأمن العالميين.

٤ – نظرية " صدام الحضارات " لا تمد البشرية إلا بمظلة من العداء والكراهية ومزيد من الصراع والصدام الدامي .

٥ – الإنسان ليس شريراً بطبعه ، و" الغاية تبرر الوسيلة " إلا في الأيديولوجيات النفعية الاستبدادية .

٦ – الإسلام يحمي الحقوق والحريات ويحافظ على مقدرات الشعوب وحقها في تقرير المصير . وقد رسخ ذلك من خلال إرسائه

لمبدأ التعارف الإنساني والتذكير بمبدأ الأخوة الإنسانية المنبثقة عن الأصل الإنساني المشترك .

٧ – الإسلام يحارب التمييز بين البشر بكل صوره وأبعاده من خلال نصوصه ومقاصده الهامة وقواعده الكلية .

٨ – الإسلام قادر على استيعاب حركة الحياة والتفاعل مع المستجدات ومعالجة المشكلات التي لم يكن لها مثيل في ماضي الإنسانية بردها إلى روح النص ومقاصد الشريعة وقواعد التشريع .

٩ – نظرية " صدام الحضارات " مرفوضة من قبل العقلاء من المفكرين الغربيين والغيورين من مفكري الإسلام وعلمائه ، والحريصين على مستقبل الإنسانية .

المـــراجـــــع

أولا : السنة الشريفة :

١- الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير ط (١) دار الكتب العلميه. بيروت لبنان ١٤١٠-١٩٩٠ م

٢- صحيح البخاري تحقيق طه عبد الرؤف سعد مكتبه الايمان ١٤١٩-١٩٩٨ م

٣- فتح ا لباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلانى مكتبه القاهرة ١٣٩٨-١٩٧٨م

٤- صحيح مسلم بشرح النووي ط(١) مكتبة الصفا. ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م

٥- المستدرك للحاكم تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط(١) المكتبة العلمية ١٤١١هـ ١٩٩٩م

٦- مسند أبى على ط(١) دار المأمون للتراث بدمشق ١٤٠٤هـ ١٩٨٩م

٧- مسند الإمام أحمد (الموسوعة الحديثية) ط(١) مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

ثانيا : المراجع العامة :

١-الإسلام بين الشرق والغرب-على عزت بيجوفيتش ترجمة محمد يوسف عدس مؤسسة بافاريا
ط -(١)١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٢-الإسلام لعصرنا ٠د ٠جعفر شيخ إدريس كتاب المنتدي الرياض - ط (١)١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م

٣-الإسلام وقضايا الحوار ٠د ٠ محمودحمدى زقزوق ترجمة ٠د ٠مصطفى ماهر ٠ دار الشروق الدولية ط - (١) ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

١٠ – الإسلام والغرب والديمقراطية قراءات وتعليقات على مقالتي صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون . والإسلام والغرب لبريان بيدهام . جودت سعيد وعبد الواحد علواني . دار الفكر. دمشق ط (١) ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

١١ – إعداد الممارسين للاجتهاد الجماعي . بحث منشور بمجلة المسلم المعاصر . د . محمد كمال إمام . العدد (٨٣) السنة (٢١) شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، ١٤١٧هـ / فبراير ، مارس ، إبريل ١٩٩٧م .

١٢ – إنجيل برنابا . ترجمة د. خليل سعادة . تقديم السيد محمد رشيد رضا . تعريب د. أحمد حجازي السقا . دار البشير القاهرة ١٩٩٥م .

١٣ – أورشليم قاتلة الأنبياء . محمود الشرقاوي. مكتبة الأنجلو المصرية والمطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٨م .

١٤ – الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية . د . أحمد أنور مكتبة الأسرة . الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤م .

١٥ – البعد الحضاري لهجرة الكفاءات . عبد المجيد النجار . كتاب الأمة . الأوقاف القطرية ، العدد (٨٩) جمادي الأولى١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

١٦ – الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة . د. أحمد محمد الطيب وآخرون . جامعة قطر ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

١٧ – الحرية السياسية في الإسلام . د. أحمد شوقي الفنجري دار العالم ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

١٨ – روح المعاني للإمام الآلوسي . دار الفكر. بدون تاريخ.

١٩ – سماحة الإسلام د. أحمد الحوفي . دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط (٢) ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٢٠ – السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث الشيخ محمد الغزالي ، دار الشروق ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٢١ – السياسة الشرعية لابن تيمية . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . السعودية ١٤١٨هـ .

٢٢ – السيرة النبوية لابن هشام .

٢٣ – السيرة النبوية . عرض وقائع وتحليل أحداث .د. علي محمد الصلاَّبي. دار المعرفة بيروت لبنان ط (٣) ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٢٤ – صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون . ترجمة : د. مالك عبيد أبو شهيوة ود. محمود محمد خلف. الدار الجماهيرية . ليبيا ، ط (١) ١٩٩١م .

٢٥ – علم اللاهوت الكتابي. جرهاردس فوس. ترجمة : عزت زكي . دار الجيل . بيروت ١٩٨٢م .

٢٦ – الكتاب المقدس الطبعة المئوية بيروت بدون تاريخ .

٢٧ – فقه التدين فهماً وتنزيلاً . عبد المجيد النجار. رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية . قطر ، ط (١) بدون تاريخ .

٢٨ – فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة . د. محمد رمضان سعيد البوطي. دار الفكر . بيروت . دمشق ط (١) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .

٢٩ – قضايا علم الاجتماع دراسة سوفيتية نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي ج. أوسيبوف . ترجمة سمير نعيم أحمد وفرج أحمد فرج دار المعارف ١٩٧٠م .

٣٠ – المسلمون والعولمة . د. يوسف القرضاوي . دار الأمل ط (١) ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٣١ – المسيحية نشأتها وتطورها . د. شارل جينيبير. ترجمة د. عبد الحليم محمود . دار المعارف ط (٣) ١٩٨٨م .

٣٢ – مفاتيح الغيب للإمام الرازي . دار الغد العربي. بدون تاريخ .

٣٣ -- مقال د. عصام البشير بعنوان : دين الرحمة نشر ضمن مجموعة مقالات بكتاب صراع الحضارات بين الإسلام والغرب(٣٤) مفكراً إسلامياً عالمياً يناقشون القضية . إعداد خالد عرابي. تقديم : د. عبد الصبور شاهين. ألفا للنشر والتوزيع ط(١) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٣٤ – من أجل استراتيجية حضارية . د.أنور عبد الملك . مكتبة الشروق الدولية ط (١) ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .

٣٥ – من هدي الإسلام فتاوى معاصرة .د. يوسف القرضاوي دار الوفاء . المنصورة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٣٦ – نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية .د. محمد علي مفتي . كتاب المنتدى . الرياض ط (١) ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

٣٧ – نهاية التاريخ والإنسان الأخير لفرنسيس فوكوياما. ترجمة د. فؤاد شاهين وآخران . دار الإنماء القومي. بيروت لبنان ١٩٩٣م.

المجلات والدوريات :

٣٨ – مجلة البيان . المنتدى الإسلامي. الرياض . السنة(٢٠) العدد (٢١٦) شعبان ١٤٢٦هـ / أكتوبر ٢٠٠٥م مقال : (رؤية إسلامية لمشكلة التعددية . بسطامي محمد سعيد).

٣٩ – مجلة حوار العرب مقال د. بوحيبية العدد (١٢) ٢٠٠٥م

الفهـــرس

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمـــــة	١
المطلب الأول : التعريف بكتاب صدام الحضارات لهنتنجتون	٦
المطلب الثاني : نظرية صدام الحضارات كما يراها هنتنجتون	٨
الانسجام والتعافي العالمي بين توهيم فوكوياما وتأصيل هنتنجتون	٨
المطلب الثالث : أسس نظرية صدام الحضارات :	١٢
التماثلات والاختلافات والمصالح والتناقضات	١٢
فرضية كراهية الآخر وجوهرية العداء !!	١٣
الثقافة الإسلامية عدائية وجامدة وغير ديمقراطية	١٤
المطلب الرابع : ظروف نشأة النظرية	١٨
المطلب الخامس : نقد نظرية صدام الحضارات ...	٢٠
إشكاليات منهج هنتنجتون في صياغة النظرية	٢٠

تابع الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
١ – إشكالية تحرير المصطلحات	٢٢
٢ – إشكالية المقارنة	٢٦
٣ – إشكالية تجاهل الواقع ومخالفة الحقائق التاريخية	٣١
٤ – إشكالية الاستقراء	٣٢
٥ – إشكالية الإحصاء والوصف	٣٧
٦ – إشكالية الإحصاء والإقصاء والتحيز	٤٢
٧ – إشكالية التناقض	٤٩
٨ – إشكالية التعميم	٥٢
نقد أسس نظرية صدام الحضارات لهنتنجتون	٥٨
نقد الأساس الأول " التماثلات والاختلافات " و" المصالح والتناقضات "	٥٨
أولاً : نقد مبدأ " التماثلات والاختلافات "	٥٨
تناقض هنتنجتون ذاته في تأصيل مبـــدأ التماثلات والاختلافات	٦١
ثانياً : نقد مبدأ " المصالح والتناقضات "	٦٤

تابع الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
السياسة ومبدأ " المصالح والتناقضات "	٦٦
قيم العدل والحوار الحضاري	٦٧
الإسلام وقيم العدل والرحمة	٦٨
نقد الأساس الثاني" فرضية كراهية الآخر وجوهرية العداء "	٧٤
إبطال المبدأ	٧٤
السياسة وتحديد الهوية	٧٧
نقد الأساس الثالث " الثقافة الإسلامية عدائية وجامدة وغير ديمقراطية "	٨١
أولاً : نقد زعم هنتنجتون عدائية الثقافة الإسلامية	٨١
الإسلام والتعددية	٩٥
الإسلام بين هنتنجتون وبريان بيدهام	٩٦
نقد زعم هنتنجتون بأن الثقافة الإسلامية غير ديمقراطية.	١٠٤
نقد زعم هنتنجتون بأن الثقافة الإسلامية جامدة	١٠٩
الخاتمـــة	١١٢
المراجـــع	١١٨
الفهرس	

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٢٩٩
مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا
أمام فرع جامعة الأزهر
أول طريق سبرباى كفر الشيخ